روايات عبير

مارغريت واي

صعب المنال



٨٠

روايات عبير

HARLEQUIN - "ABIR" - No. 80

صعب المنال

حين يصيبك خوف عظيم، وتقرع الأجراس في داخلك وتتلألأ النجوم امام عينيك، هل هو سهم كيوبيد يخترق القلب ويستقر فيه؟

افتتنت جيني، منذ طفولتها، بقريب أمها، أنغو، بوجهه الأسمر وعينيه الماسيتين. لكنها الآن صبية جميلة تجمع المتناقضات في جمالها وشخصيتها. ما هو شعورها حين تصطدم بانغو وهي تقيم مع والدتها حيث يقيم في المزرعة. انغو الأسود والشرس الذي لا ينفك يغيظها ويتحداها. هما كالليل والنهار... كالشمس والقمر يكملان بعضهما، لكنهما لا يلتقيان.

تتزوج والدتها وتقرر الرحيل عن تاندارو. نار جيني تشتعل تحت رماد شجاعتها الهشة المزيفة، هل تسافر مع والدتها وهي قادرة على مواجهة لوعة الحب ام ان انغو يخطفها الى غابته ويسبحان بين خيوط الشمس.

١- ذكريات الأرملة

وضعت فليسيتي راسل كوب العصير الفارغ وأعادت نظارتيها الى مكانهما فوق أرنبة أنفها الصغير الجميل. وقرأت بشغف:

«علاقة عاطفية قد تحمل اليّ المتاعب، انه أمر مثير».

وردّت جيني بخشونة وهي تشكر حسن طالع ابراجها:

«لن يحدث ذلك في تاندارو».

وتنهدت فليسيتي مستسلمة على مضض:

«حبذا لو لم يكن أنغو قريبي».

وعادت الى متابعة قراءة بختها لذلك اليوم بجدية بالغة، كانت فليسيتي وهي في التاسعة والثلاثين من عمرها جميلة يشار اليها بالبنان، تطفو على ملامحها مسحة من الحلم والشفافية استطاعت أن تحافظ عليها بأعجوبة منذ

أن كانت بعمر الورود، لربما كانت تبدو طائشة ولكنها تجتذب اليها الانظار بدون رياء وبشكل لا يقاوم، لدرجة ان الطبيب لدى ولادتها أعلن انها أجمل طفلة رآها في حياته. ولم يكن الطبيب مخطئاً.

ولم ترغب جيني التي تحب أمها كثيراً وترعاها بكل جوارحها، الاسترسال في ذلك الحديث. فعلاقات والدتها العاطفية المثيرة كانت تخلق لها مشاكل لا نهاية لها. وقد اعتادت فليسيتي طوال حياتها ان ترى الناس يحيطونها برعايتهم ويقعون في حبها ابتداء من افراد عائلتها وأقاربها العديدين وانتهاء بأزواجها الثلاثة. اثنان طلقت منهما، وأحدهما والد جيني الذي كان يناديها جيانينا، والثالث تركها أرملة محترمة مما جنّب جيني بعض الاحراج في المدرسة. ومع ان فليسيتي كانت تروق للعين كثيراً الا انها كانت مصدر عذاب للقلوب. ومع مرور الأيام ونتيجة لذلك الوضع أصبحت جيني تعتبر نفسها رجل البيت وحامية امها.

وقطعت فليسيتي حبل الصمت وقالت وهي تحدق بعيني ابنتها:

«أنغو، يا له من رجل».

وردّت جيني على الفور:

«انك في نظره امرأة طائشة».

«يا لك من ابنة قاسية، اني اكاد لا اصدق اذني».

«انك تدركين يا اماه ما اعنيه. جميع النساء في نظر أنغو فولكنر حمقاوات».

«انك تقسين عليه كثيراً».

«أوليس هو قاسياً عليّ. أنسيت ما نعتني به المرة الأخيرة؟ الصبية المجنونة، لا لشيء سوى أني امتطيت جواده الهزيل».

«لقد رماك عن صهوته».

«لم يؤذني في كل حال. انه جواد جميل. أنغو هو الذي يثير في نفسي الاشمئزاز وكلما رأيته شعرت برغبة جامحة في تسديد ضربة الى فكه».

«هذا كلام صبياني. ولكني أفهم ما تعنيه. انه حيواني. ولكن لا تنسي يا عزيزتي انه قريبك».

«صححي معلوماتك، انه قريبك لا قريبي».

«يا الهي، أعليك ان تذكريني بذلك؟».

«كان بامكانك ان تحتفظي بوالدي لو اردت ذلك».

«واسمعي يا عزيزتي، ساضطر الى مغادرة الغرفة اذا انت تابعت هذا الحديث، لم يكن الأمر سيئاً جداً، عليّ ان اعترف. كل الايطاليين متقدي العاطفة، وكارلو احبني بكل جوارحه. ولكنه كان غيوراً بشكل يفوق التصور. والفترة الوحيدة التي شعرت بالراحة كانت عندما كنت حاملا بك مع أني لم أكن جميلة. في أي حال لقد غفرت له كل شيء، فأنت ورثت عنه عينيه السوداوين الجميلتين وورثت عني تجعدات شعري الفضية. وهما سلاحان ماضيان».

«هذا صحيح اذا اقتنعت بتجربة العدسات اللاصقة».

«انها مزحة عابرة، لقد حققت أحلامي بفضل عينيّ الزرقاوين».

«اني اعرف ذلك لا عجب في أني كنت أقوم بدور الحارس الفظ لأبعد تحلقات المعجبين عنك».

وشعرت فليسيتي بدفق من الحنان تجاه ابنتها فقالت والدموع تنهمر من عينيها:

«انك ابنة طيبة».

وفي الواقع كانت جيني صادقة في عواطفها منذ نعومة أظفارها. وأضافت باندفاع:

«ومثقفة ايضاً».

«كلمة مثقفة أصبحت بالية يا أماه».

«هذا صحيح. ولكني لا استطيع مضاهاة ابنة مثلك. بالطبع كارلو رجل مثقف للغاية وهذا ضروري للرجل. كل ما في الأمر انك بحاجة الى شيء من الرومنطيقية يا حبيبتي. ألم تخلق المرأة لتحيا قصص الحب الخالدة؟ لذلك كل هذا الاهتمام بالدراسات يزعجني. ولست أقول سراً بأني كنت كسولة في المدرسة. والحمد لله انك لم ترثي هذا الميل واكتفيت بوراثة جمالي».

«ولكني يا أماه لا أشبهك البتة».

وابتسمت فليسيتي وقالت:

«انك قد لا تلاحظين ذلك الشبه ولكن الغير يراه. بالطبع انك تشبهين والدك العزيز بلون بشرتك الحنطي الجذاب، بعكسي تماماً فأنا اتحاشى

دائماً تعريض وجهي لأشعة الشمس».

«اذن لماذا تلحّين في الذهاب الى تاندارو حيث الشمس المحرقة».

«انك تعرفين بأن تاندارو مكان خلاب وعائلتي فخورة بقطعان ماشيتها العديدة».

«وبأنغو الأسود ايضاً».

«لا تمزحي بهذه الطريقة وعلى الأخص لا تدعيه يسمعك تناديه هكذا».

«لقد سمعني».

«انت قاسية مع أنغو».

«أحقاً؟».

«لماذا نتحدث دائماً عن أنغو. انه رجل جذاب وقوي».

«هذا رأيك أما أنا فاني اكرهه».

«ولكنه هو لا يكرهك. وفي الواقع كان يهتم بك كثيراً وأنت طفلة وأني لا أكاد أصدق خلافاتكما ولا استسيغ الألقاب البشعة التي تغدقينها عليه، بالاضافة الى ان تاندارو جنة للجمال والسلام ستعيد اليّ نضارتي وحيويتي وعلينا ان نشكر أنغو لدعوته. عندما افكر بأنه بعد بضعة أيام سنكون هناك أشعر بالسعادة وشكراً لك يا ابنتي لأنك قبلت بمرافقتي. أنا أعرف بأنك كنت تفضلين الذهاب الى جزر بالي بمفردك».

«عليّ الاعتراف بذلك يا اماه. ولكن الطبيب قال انك بحاجة الى عناية بعد اصابتك بذلك الفيروس اللعين الذي تركك سقيمة نحيلة».

«لقد قرر كارلو ذلك، ولم يكن لي حيلة في الموضوع. ولا تنسي بأني متعلقة بحبك. لقد كنت نحيلة البنية ومرهفة منذ نعومة أظفاري ومع انك لا تودين اخافتي الا انك تعتنين بي كجوهرة ثمينة. فلماذا أنت لطيفة بهذا القدر وكأنك امي لا ابنتي؟».

«لأني أحبك يا أماه وأشعر بأنك ضعيفة بدون مساعدتي».

«جميل جداً سماع ذلك والآن هل تملأين كوبي بالعصير الطازج؟».

«هذا آخر كوب، اني مسرورة بلقائك القريب بأنغو يا اماه».

«لقد كان لطيفاً جداً معي».

واكتفت فليسيتي بهذا القول ولم تكشف لابنتها كم كان انغو كريماً معهما من الناحية المالية خصوصاً بعد وفاة هوغي راسل الذي تركهما بدون سند

يذكر. ولا بد من القول ان هوغي كان كريماً في حياته ولم يبخل عليهما بشيء ولكن كل شيء تغير بعد وفاته.

وقطعت جيني تأملات امها قائلة:

«أرجو ان أتغلب على مشاعري في العطلة».

«المشكلة يا عزيزتي، ان انغو يبرز اسوأ طباعك. انك تتصرفين أحياناً كطفل مزعج للغاية وفقاً لطبيعتك الايطالية العاصفة. حتى ان خصلات شعرك الفضية تتوقد بالغضب ويصطبغ وجهك باللون الاحمر القاني. ان ما أعنيه هو ان انغو ليس رديئاً الى الحد الذي تتصورينه وعليك ان تعترفي حتى بالنسبة الى فتاة مثلك تنقصها الخبرة انه رجل جذاب للغاية».

«هذا صحيح. فهو شبيه بنجوم السينما».

«هذا قول سخيف، يا عزيزتي، فهو مربي ماشية لا اكثر ولا أقل. وكل حياته تنصبّ في هذا الاتجاه. انه متصلب احياناً ولكنه عندما يريد يصبح جذاباً للغاية لدرجة ان بامكانه ان يوقع طريدة محنكة مثلي».

«ولهذا السبب علينا ان نشكر الله لأنه قريبك وانه يفكر بك كمجرد فرد من العائلة بحاجة الى رعاية».

«انك تتمتعين بميزة الفكاهة احياناً».

«عليّ القول انه ليس من السهل العيش مع أم جذابة مثلك».

«انني لست من النوع الطفيلي حتى في الأيام العصيبة عندما تركت كارلو».

ورفعت جيني رأسها الى الوراء وهي تقهقه قائلة:

«لا يمكنني قبول ذلك انه كلام لا ينطبق على الحقيقة».

«اني لا اشعر بالغرور والتفاهة وكذلك أنت».

«ولماذا نشعر بذلك تجاه عطية من السماء. الجمال قد يضر احياناً صاحبه».

«انه لا يضرني».

قالت فليسيتي بدون ان تدرك ما عنته جيني في الواقع وأضافت:

«انك في الواقع أحذق مني وأكثر جاذبية».

«من السخافة التذمر من هذا الأمر ولكني اعتقد ان انغو لا يرغب في وجودي هناك».

«وهذا غير صحيح على الاطلاق. والرهان ان جميع رسائل انغو مليئة بالأسئلة عنك».

«أية رسائل؟».

«الرسالة التي استلمتها قبل ايام».

«اني لم اطّلع عليها».

«ألم يقل لك احد بأني رأس العائلة؟ هذا على الأقل ما تثبته ملفات الأحوال الشخصية».

وهدأت فليسيتي قليلا وقالت في نفسها: «لو علمت جيني ان انغو يدفع أقساط مدرستها لأنقطعت عن الدراسة وفتشت عن عمل. ولكن هذا سر بينها وبين انغو وليس على جيني ان تعرف شيئا عن هذا الأمر. وهي تشعر احياناً ان انغو فخور بكبرياء جيني. والحق يقال ان انغو الرجل الوحيد الذي عرفته جيني في طفولتها. فكارلو الذي كان الحب الكبير في حياة فليسيتي وكان مع ذلك الخائن الأكبر، قد عاد الى ايطاليا بعد ان هجرته هي وطردته من حياتها. وذهب كل واحد منهما في طريقه فهو تزوج للحال من امرأة جميلة وهي لم تنتظر كثيراً وقررت الزواج من هوغي.

وعادت فليسيتي الى الواقع عندما سمعت صوت ابنتها يقول:

«انت كنت سابحة في أحلامك يا اماه!».

«كنت افكر بهوغي».

«يا له من رجل مسكين، رحمه الله، حتى انغو كان يشفق عليه ويرتاح اليه وهو أمر غير سهل».

«ولكنهم كانوا سعداء معي. أليس كذلك يا عزيزتي؟».

وابتسمت جيني ابتسامة عريضة وقالت:

«طبعاً يا امي فهوغي ما كان ليشعر بسعادة اكبر لو انه تزوج هيلانة طروادة».

«اشعر احياناً بأنك ألطف ابنة في العالم. انني امرأة ضعيفة وأشعر بثورة من الغضب كلما تذكرت ذلك المتوحش كارلو».

«ها انّا نعود الى الوراء. لا تنسي انني في العشرين من عمري».

«كنا نتحدث عن والدك ولست بحاجة لتحديد عمرك او عمري».

«حسناً، المكان الذي نحن ذاهبتان اليه لا يسمح لنا باخفاء أي شيء.

فهم يعرفوننا جيداً. فأنغو الأسمر كان يداعبني على ركبتيه وأنا طفلة صغيرة، لقد تغيّر كل شيء الآن».

«يا للاعجوبة الصغيرة، لا أدري ماذا يسعى كل منكما اليه، وكل ما اطلبه منك ان تحسني هذه المرة تصرفاتك معه».

«هذا أمر ليس سهل التحقيق وأنغو في الجوار. فهو دائماً يسعى الى استفزازي».

«عليّ ان اعترف ان هذا صحيح الى حد ما. ولعل كلاكما بحاجة الى طبيب نفساني. اني اكره ان اذكرك انه انقذ حياتك».

وردت جيني بنرفزة:

«وهو ايضا ليس بحاجة ليذكرني بذلك وكأنه لم يفعل شيئا في حياته سوى ذلك العمل».

«اني اشعر بالخوف كلما تذكرت تلك الحادثة».

قالت فليسيتي وهي تعود بذاكرتها الى ذلك اليوم عندما ركضت جيني وهي طفلة صغيرة في اتجاه حصان كان يعدو على الطريق. وفي تلك اللحظة وبينما كان الجميع يقفون مسمّرين في أماكنهم هرع انغو بسرعة البرق وانتشل جيني بعيداً عن حوافر الحصان. والعجيب في الأمر ان جيني تعلّقت بأنغو في ذلك اليوم وأبت ان تتركه. ولكن الأمور تبدلت وأصبحا الآن على طرفي نقيض، وهذا ما أضفى بعض الحزن على مشاعر فليسيتي فهي حائرة بين نفور جيني من انغو وبين ميلها الطبيعي لقريبها.

وكانت تدرك في قرارة نفسها انها وجيني تحتلان مكانة خاصة في قلب انغو وفي اطار مسنّ وليانه. ومع ان انغو ولد في وسط مترف وثري ويحمل اسماً محترماً غير انه واجه مشاكل عميقة مع والديه منذ طفولته. والقصة معروفة فوالدته ماريان التي كانت غريبة عن بيئتها استفاقت الى نفسها بعد اثنتي عشرة سنة من الزواج قضتها في مزرعة منعزلة وبعيدة عن الحضارة وسط البراري الشاسعة والموحشة، ورأت انها لم تعد قادرة على احتمال عزلتها. فحملت ابنها وطفلتها وغادرت تاندارو بدون ان تلتفت وراءها. غير ان زوجها مارك لحق بها واستعاد ابنه وترك لها ابنتها باتريشيا التي بقيت مع امها منذ ذلك اليوم. ونقل مارك ابنه انغو الى بيت عمته ايفلين وهي صورة مطابقة لأخيها مارك في خشونته. وفيما بعد عاش انغو في كنف زوجة

ابيه الثانية التي لم تحاول في يوم من الأيام أن تحل مكان امه. وفي الواقع لم يكن باستطاعة أحد ان يأخذ مكان امه ولم يتجرأ احد على القيام بالمحاولة. وهكذا ترعرع انغو معتمداً على نفسه تسيطر عليه رغبة ملحة في العمل والمثابرة بدون الانقياد لأي شخص وخصوصاً النساء.

كانت حياة انغو رتيبة الى حد ما وكانت فليسيتي لا تخفي على احد انجذابها الى شخصيته الرائعة والى رجولته التي تكاد لا تقاوم، كل شيء في انغو كان جذاباً. عيناه الرماديتان والهالة الضوئية التي توشح وجهه الصارم الذي لوحته الشمس واسلوبه الساحر، جميعها كانت تضفي على شخصيته سحراً لا يقاوم.

الشخص الوحيد الذي يبدو انه لم يتأثر بجاذبيته هي جيني. دائماً تشاكسه بمواقفها المتحدية وتسمعه كلاماً قاسياً ومع ذلك، كان انغو متعلقاً بجيني على طريقته ويظهر لها اكتراثاً تقابله جيني بثورة عارمة وعصيان قلما شهدته تاندارو. فما من احد كان يفكر او يجسر على اظهار تلك الروح المتمردة في مكان كهذا.

كانت جيني منذ ان بلغت الرابعة عشرة من عمرها تشعر بالانزعاج والاضطراب كلما وجدت نفسها بالقرب من انغو. فقد ولت تلك العاطفة المراهقة في قلب جيني يوم انقذها من حوافر الحصان وحلّ محلها شعور بالعداء والجدال المستمر، وانقطعت الصلات الحميمة ونمت مكانها خصومات متأججة غالباً ما كانت تخمد بعد ابتسامة ترسم على شفتي احدهما وتعلن الهدنة بينهما الى ان تحين الجولة الثانية. ومع ذلك فان انغو كان يضع مسؤوليته تجاه جيني في رأس قائمة اهتماماته، والمناقشات الحلوة المريرة التي كانت تحتدم بينه وبين المراهقة الجميلة، الساعية دوماً الى التحرر والمساواة كانت تتلاشى الى غير رجعة.

وتنحنحت جيني قليلا لتعيد والدتها الى الواقع اليومي. وللحال رفعت فليسيتي رأسها الجميل وقالت بشيء من الاسترخاء:

«عفواً يا عزيزتي، هل استرسلت كثيراً في ذكرياتي؟».

«أجل يا اماه».

«اعتذر مرة اخرى. لقد راودتني افكار عديدة وعادت اليّ ذكريات اشخاص عديدين وهذا امر يساعدني على عدم الشعور بالضجر».

«هل سيأتي انغو لملاقاتنا؟».

«انه كثير الاعمال في هذا الوقت من السنة كما تعلمين، وعلينا ان نستقل طائرة الى واريغو حيث سنلتقيه».

«وهل تنوين فعلا تحمّل تلك المشقات للذهاب الى هناك؟».

«يا عزيزتي في الوضع الذي أنا فيه تظل تاندارو أفضل مكان أتوق اليه. انه مكان خلاب يدفع الى الاحلام وشرود الفكر. وأعتقد أننا سنلتقي هناك العديد من الأصدقاء خصوصاً اننا على ابواب عيدي الميلاد ورأس السنة. ألم أقل لك ان تريش وولديها سيكونون هناك؟».

«في الواقع لم تذكري لي شيئا من هذا يا اماه. انك كتومة في كل شيء يتعلق بمراسلات انغو».

وتابعت جيني باستغراب ظاهر:

«عجيب انه يهتم بي ما دام بعيداً عني ولكنه حالما يصبح بالقرب مني يصبح هذا الأسود المتوحش فظاً. وعليّ ان اعترف انني اخشاه قليلا».

«لا اظن انه يستلطف سماع احد ينعته بالأسود او بالأسمر الحالك. فهل هو اسود القلب ام اسود الروح؟».

«لا هذا ولا ذاك، انه اسود بمعنى متعرج وعميق ومعقّد ولا يمكن سبر غوره. انني لا اجد الكلمات عندما اتحدّث عنه».

«أحقاً ذلك؟ هذا ليس شعوري على الاطلاق. فلسانك لا يجد صعوبة في تسميته انغو الأسود، بينما انا اناديه يا قريبي. انه جوهرة نادرة».

«عيناه تشبهان لؤلؤتين عميقتين».

«هذا صحيح، لقد رأيت نساء عديدات يقعن في حبه، حتى زوجة ابيه كانت تستلطفه».

«من حسن حظنا اننا لا نراها الآن. ولكني اعتقد ان انغو كان قاسياً معها».

«كان من الطبيعي ان يعاملها بتلك الخشونة بعد ما لمس منها تصرفاتها الرعناء. ولولا المرارة التي أصابت مارك عندما هجرته زوجته ماريان لما فكّر في الزواج منها. كان انغو في العاشرة عندما غادرت ماريان المنزل الزوجي ومنذ ذلك اليوم وهو يشعر بمرارة قاسية تعصر قلبه كون امه التي يعبدها تخلت عنه. وعلى الرغم من ان انغو كان فلذة كبد والده، غير ان مارك كان

عاجزاً عن التعبير عن مشاعره كما كانت تفعل ماريان. اما الجد فولكنر فكان غريب الأطوار وقد ربى أولاده مارك وكيل وايفلين بطريقة عسكرية صارمة تركت آثارها في نفس كل واحد منهم، وهو لم يوافق على زواج مارك من ماريان. فهي وان كانت من عائلة محترمة ولها مكانتها في المجتمع الا انها لم تخلق لتعيش خارج المدينة. فالأرض لم تشدها اليها وهي لم تتعلق بها. كانت تاندارو تقف بينها وبين مارك ولا بد ان الحياة كانت قاسية بالنسبة اليها في المزرعة. مسكينة ماريان».

«اني أتساءل يا اماه لماذا لا يذهب انغو لرؤ ية امه، بينما يسمح لتريش وعائلتها بالمجيء الى تاندارو؟».

«لا تنسي أن تريش هي شقيقته. وهي قاست الأمرّين مثلما قاسى انغو. في كل حال الأولاد لا يدخلون في لعبة الكبار وقد شعرت تريش بالأسى يحز قلبها عندما فصلت عن اخيها انغو».

«ومع ذلك افترق الوالدان ضاربين بمصير ولديهما عرض الحائط».

«أصبحت الحياة مستحيلة بينهما. ولا تنسي ان الجد كان لا يخفي مقته لماريان وكان عليها ان تعيش في كنفه، وبما ان مارك كان يأبى مغادرة تاندارو، لذلك كان على ماريان ان تهجر المنزل. وكان نصيب انغو وهو الوريث الأكبر ان يظل الى جانب والده في المزرعة التي تعلق بها منذ أن فتح عينيه على سمائها. ولم يغفر لأمه كما تعلمين قرارها بهجر والده».

«اني اعرف ذلك تماما ان كل ذرة من كيانه ترفض تصرف النساء. فهو لا يقبل بأي حل وسط. انه بغيض الى ابعد حد».

«ولكنه فاتن».

«انه مقيت وهو يسيطر عليك. انه مجرد لغز لا اكثر ولا اقل».

«وأنت ايضا يا جيني تشعرين بسحر غموضه».

«اني احاول الافلات من جوه».

وادارت فليسيتي رأسها بدلال وقالت:

«انك البادئة عادة في كل شيء. فلماذا تتهجمين عليه؟ اني لا اجهل بأن انغو يميل كثيراً الى المشاكسة ولكن لكل شيء حدود. فهلّا حاولت انشاء علاقة طيبة وجديدة معه كالتي كانت تربطك به ايام الطفولة الحلوة وأنا اكيدة بأنك ستكسبين صداقته وعونه، ولا أزال أتذكر كم كنت طفلة

جميلة وجذابة بخصلات شعرك الرمادية وعينيك المخمليتين ولا اتعجب الآن لماذا كان انغو يناديك بالملاك».

«انه بكل تأكيد لا يوافق على تلك التسمية الآن».

«انها غلطتك بالطبع. لماذا تشاكسينه بهذا العناد المستمر. كوني مثلي ولو لفترة قصيرة».

فردّت جيني وهي تبتسم:

«وهل بامكاني مجاراتك بهذا الميدان وأنت بهذه الجاذبية؟ ولكني لا ابالي».

«اذن حاولي ان لا تجعلي تاندارو ميدان حرب بينكما. لقد منحتك الطبيعة وجهاً متلألئاً كوجهي فاحسني التصرف به. اني اعرف بأنك تستطيعين ان تكوني حلوة كالعسل الشهي عندما تريدين. أونسيت ايضا ان انغو المتعجرف، كما تسمينه، قد سمح لك بدعوة جميع اصدقائك المثقفين لقضاء شهر ذهبي في تاندارو؟».

«اني متيقنة انه لن يعيد الكرة مرة ثانية».

وضحكت فليسيتي وقالت بصوت عال:

«وهل تلومينه على ذلك خصوصاً ان صديقتك الحمقاء بيري لم تفارقه بل تلازمه كظله؟».

«انها ذكية للغاية. ولكنها مشغوفة بانغو لأسباب اجهلها».

«لا تبالغي في عدائك. الكل يعترف بجاذبية انغو. انه سيد المزارع وقوي».

«تريدين القول انه الرجل ذو القبضة الحديدية».

«كل النساء يحلمن به ما عداك».

«لأني اعرفه على حقيقته».

«انك لا تعرفين شيئا عنه».

«لو عرفته على كامل حقيقته لارتعدت خوفاً».

ومدّت جيني يديها الى الأعلى وقالت وهي تحاول تغيير الموضوع:

«هل ستأتي ايفلين؟».

«بكل أسف نعم. ليس بامكان انغو ابعادها عن المزرعة كما فعل ببربارة. ولكنها تعيش في الظل».

«اعتقد انه كان معجباً بها في يوم من الأيام، انها كثيرة الاعتزاز بنفسها وهي تضاهي بذلك كبرياء والدها وشقيقيها».

«انها صنيعة اهلها صارمة كالرجال ومتمسكة برأيها، مسكينة ايفي لم تتح لها الفرصة. كانت دائماً الآنسة ايفلين من تاندارو. لم يكن لها رأي في العائلة، فالآراء كانت من حق الرجال الذين عرفوا بالجاذبية والاعتزاز بالنفس».

«انني كل شيء في نظرهم».

وردّت جيني بعبوس:

«أما أنا فلا. وفي الواقع بدأت اكوّن فكرة جديدة عن الرجال والزواج. لقد تغيرت صورة المرأة، والعالم لا يزال ملكاً للرجال. خذي الحياة على الأرض، الرجل وحده يمثل القوة وبفضلها يلعب دوراً حيوياً. فهو يتمتع بلذة المخاطر والاثارة بينما تكتفي المرأة بالقيام بأعمال المنزل والتبرج لتكون جميلة في نظره قدر الامكان».

«هذه هي الحال في كل مكان. وأي عيب في ان تبدو المرأة جميلة؟».

«اني آمل ان اكون اكثر من وجه جميل. انني فكر وعقل ولي دور هام اقوم به. اني احب الأطفال وأتوق الى تربيتهم ولكني لا اريد ان اقيد حياتي بدور واحد. انني شخص كامل وأريد ان يقبلني الجميع على هذا الاساس في هذا العالم الذي يسيطر عليه الرجال».

«أتعنين انك تريدين ان تكوني نداً لأنغو؟».

«وهل هناك من ند لأنغو؟».

«لو كنت مكانك لأكتفيت بأن اكون امرأة معبودة. انظري اليّ انني سعيدة كوني ألعب هذا الدور».

«لكل منا طبيعة مميزة. ومن الصعب الاقتراب من رجل يحب الهيمنة».

«هذا امر لا يقبل الجدل ماريان اكبر دليل على ذلك. كانت امرأة حساسة للغاية بغير ضعف. لقد انهكت نفسها في مجهود يائس للبقاء على قيد الحياة في عالم غريب. وادارة مزرعة بحجم تاندارو لا تعطي الرجل وقتاً كافياً للتفرغ للآخرين لذلك فان النساء هناك يكابدن الوحدة ويشعرن بأنهن منبوذات. لقد احبها مارك، أنا متأكدة من ذلك. وقد اصبح رجلا آخر عندما هجرته ماريان وحالت عزة نفسه دون التوسل اليها للعودة.

والأخطر من ذلك ان كلاهما استخدم انغو وتريش كسلاحين، خصوصاً انغو لأنه كان سيرث تاندارو. واذا كنت تعتقدين ان انغو مستبد للغاية، فهو من جهته يعتقد ان النساء يستخدمن نفوذهن لادارة الرجال حسب اهوائهن. وهذا في الواقع ما تفعله النساء. فالمرأة الجميلة تستطيع تحويل رجل جبار الى صبي بلا ارادة وفي الوقت نفسه تحويل صبي الى رجل قوي. وهذا بدون شك يتوقف على المرأة. ويمكنني القول ان تأثير النساء على حياة انغو كان مدمراً. ولا بد انك تعرفين بأنه لا يذكر امه ابداً ومع ذلك فقد أغدق عليها المال. وأنت على حق عندما قلت ان انغو لغز محير ولكن هذا لا يمنع القول بأنه رجل جميل. انني اميل الى رجولته وهو يفوق جميع الرجال الذين اعرفهم فطنة وجاذبية. والحقيقة انني اشعر بالكآبة لأن انغو بالنسبة اليّ سراباً وحلماً بعيداً عن متناول يدي. ولو كنت اصغر سناً لكنت تجاهلت انه قريبي».

ونظرت جيني الى امها وقالت:

«هذا لن ينفعك. انغو يتمتع بمناعة ضد النساء. واذا لم يجد ضالته فهو سيتزوج تاندارو».

وجاء صوت فليسيتي مؤنباً وهي التي اختبرت الحياة بمرارتها وحلوها مكتفية بذكريات أيامها السعيدة المليئة بالعاطفة الجياشة:

«جيني، جيني ماذا تقولين؟ لمعلوماتك فقط يا عزيزتي، سأطلعك على سر مثير للغاية. ان سالي لويد عائدة الى تاندارو وكونها تتمتع بجسم قوي كمهرة يافعة فباستطاعتها ان تعطي المزرعة كل ما تحتاجه من اطفال».

وضحكت جيني وقالت:

«يبدو الأمر وكأنه قضية ملكية على نطاق ضيق. فتاندارو بقعة أرض خلابة تحت الشمس حيث يتوجب تأمين الذرية لسلالة فولكنر ان شاء انغو او أبى».

«حسناً يا عزيزتي قد لا يثق بالنساء كثيراً. ولكن حياته لم تكن خالية من تعزية الجنس اللطيف طوال هذه السنوات».

«انه لم يذق مر العلاقات. فهو يعرف كيف يعتني بنفسه».

«تودين القول انه من جماعة الاكتفاء الذاتي. هذا صحيح واني اتساءل لماذا تلحّين على تغييره؟».

وتمتمت جيني:
«لا ادري من اخبرك عن قدوم سالي؟».
«تريكس».
«لا هم لتريكس سوى مراقبة الناس وهي لا تكف عن ذلك ولا تريح نفسها مشقة ذلك العمل».
«تريكس طيبة. وماذا تنتظرين منها ان تفعل؟».
«بامكانها القيام بنزهة، أو بوظيفة أو أي شيء».
«لا حاجة لها للعمل وهي بثرائها المعروف. ليت هوغي ترك شيئاً...».
والحت جيني على امها قائلة:
«اكملي عبارتك. ماذا كنت تقولين عن هوغي؟».
«لا شيء».
«لقد نوهت الى ان هوغي تركنا مفلستين، أليس كذلك؟».
«هذا صحيح. ولكن لا تخلطي بين ثروة هوغي وثروة عائلة ماكفرلين، اني على يقين ان تريكس واحدة من أغنى نساء البلد».
وقالت فليسيتي وهي تحاول تغيير الحديث:
«اعتقدت ان غياب ديف لن يؤثر على مشاريعك لفترة قصيرة؟».
وودّت جيني وهي تحدّق في عينيْ امها الزرقاوين لعلها تكتشف كنهها:
«ديف هو مجرد صديق».
«كل ما أتمناه هو أن تكوني طبيعية على الأقل. ديف مغرم بك يا جيني».
«هذا شيء جميل».
«الا يعني هذا شيئا بالنسبة اليك؟ انه شاب جذاب ومن عائلة معروفة وعلاوة على ذلك اني اقدر مزاياه».
«أنت تحبين كل رجل يتملق اليك. لا تنسي ان ديف معجب بك كثيراً».
«اعرف ذلك وهو يتألم من هذا الوضع. فلماذا لا تضعين حداً لآلامه؟».
«اني أجهل دائماً ما ترمين اليه. انك بالطبع لا تعنين ان أعده بالزواج أليس كذلك؟».

«ولمَ لا؟ على الأقل اعقدا خطبتكما».
«هذا كلام سخيف. انني ما زلت صغيرة على التفكير في الزواج حتى ولو كنت مغرمة بديف وفي الواقع اني غير مغرمة به».
«كنت أماً عندما كنت بسنك».
وتمتمت جيني قائلة:
«عليك ان تتقبلي الحسنات والسيئات معاً».
«اني اشعر بالأسف تجاه ديف. فكل أم ترغب بطبيب في العائلة».
«هذا رأيك يا أمي، انني استلطف ديف وأميل الى عشرته ولكني لست مغرمة به. اذا قرر الذهاب الى اميركا الجنوبية لدراسة الامراض الاستوائية فانني سأشتري له بكل طيبة خاطر حذاء من المطاط. المشكلة هي انني استطيع العيش بدونه».
«انك ترتكبين حماقة كبيرة اذا تخليت عنه. أنت فتاة ذكية وأنا على يقين أن هذا ليس جوابك النهائي».
قالت جيني بعناد:
«كل ما أطمح اليه هو الحصول على شهادة جامعية».
ورفعت فليسيتي يديها الى السماء وقالت بعصبية:
«ولكن لماذا يا عزيزتي؟ ان فتيات اليوم يختلفن كثيراً عن فتيات الأمس. لماذا كل هذا التشديد على المسائل الفكرية؟ اني متأكدة انه سيلحق الضرر بك. أنك بدون شك أجمل فتاة بين أقرانك ومع ذلك فأنت منطوية على نفسك لدرجة اني اتساءل عما اذا وجد ديف الشجاعة الكافية لتقبيلك؟».
«لا تبالغي يا اماه. لقد فعل ذلك مراراً وأنا لم اردّه. ولكن العلاقة توقفت عند هذا الحد. فلم تتلألأ النجوم ولم تقرع الأجراس، اني معجبة بديف واستلطفه. فهو متقد الفكر، ذكي وزاخر بالنكتة الحية. وأعتقد ان هناك فرقاً بين شخص تستلطفينه وشخص آخر تحبينه. الحب شعور كامن في الأعماق واني لا اخفي عنك بأني اشعر بالارتعاش والخوف كلما فكرت بحب كبير».
«من حسن طالعي اني لم اخش حباً في حياتي».
«يبدو يا امي انك قادرة على الصمود في وجه أي عقاب مهما عظم».
«لا تقولي «عقاب» يا عزيزتي. النساء يملن الى العذاب».

«انك تمزحين دون شك».

«كلا على الاطلاق، فلو اننا كنا نتعذب كما ندعي لكان قضي علينا على الفور. انها لعبة مؤقتة. وبامكان أية امرأة العثور على رجل تحبه عندما تشاء».

«هذا لا يبدو معقولا».

قالت جيني وهي تعود بذاكرتها الى حياة امها الصاخبة. وأضافت:

«لا اعتقد اني ارغب في هذا النوع من الحب».

وردّت فليسيتي بأسى:

«اعرف ذلك جيداً، ومن هذه الناحية انت لست ابنة كارلو. في كل حال قد يكون تفكيرك هذا ساعدك في مراحل دراستك. عليك بدعوة ديف الى تاندارو وأنا واثقة ان انغو لن يمانع. ابتسامتك يا عزيزتي كفيلة بجعل انغو لعبة مطياعة بين يديك».

«ألا تدرين بأني اتوق لذلك؟».

«ولماذا؟».

«سيكون ذلك انجازاً كبيراً. فأنغو ليس مجرد طفل صغير كديف».

«مع ان انغو لا يكبر ديف الا بست او سبع سنوات».

«لا تنسي ان انغو ناضج للغاية. انه المراقب الساخر الذي ينظر الينا من بعيد بدون ان يتورط في علاقة عاطفية متهورة. انه مفرط الذكاء وانسان فريد، بالطبع يحب الترفيه عن نفسه لفترة قصيرة والاسترسال في أحلام عابرة. ولكنه لا يستسلم لأية امرأة. انه يبتسم لهن بازدراء بعينيه البراقتين الصغيرتين».

وردّت فليسيتي وهي تنظر الى جيني والدهشة مرتسمة على وجهها:

«يبدو لي انك تعرفين انغو حق المعرفة. أليس كذلك؟ لم اكن أعير هذا الأمر اهتماماً في الماضي. اعني الاهتمام المتبادل بين المرأة والرجل، لا بد انك كبرت بالفعل. ولولا اعتقادي ان ما سأقوله سيبدو سخيفاً لقلت انك نصف مغرمة بأنغو طوال هذه السنوات».

وانتفضت جيني من مقعدها وقالت بغضب:

«هل فقدت صوابك؟».

«لا ادري، انك ترددين هذه التهمة كثيراً».

«يا الهي».

«ها أنت تتفادين مرة اخرى الى غريزة الغضب. والشخص الوحيد الذي يضعك في هذا المزاج هو انغو. وكما قلت انه شاب جميل لا يمكن السيطرة عليه. ولو ان انغو قبلك لكنت رأيت النجوم في وضح النهار وبرق السماء في فصل الربيع».

«ارجوك قفي عند هذا الحد يا اماه فهو لن يزعج احداً منا».

قالت جيني ذلك وقد علت وجهها حمرة قانية وتلألأ في عينيها وميض شرارات عاصفة أضفى عليها جمالا جذاباً ذكر فليسيتي بكارلو فأغمضت عينيها لتبقي في مخيلتها هذه الصورة الأخاذة.

«اني اراهن ان سالي ستفرض نفسها على تاندارو».

قالت جيني وهي تحاول اخفاء مشاعرها:

«أتمنى لها حظاً سعيداً».

وردّت فليسيتي بخبث:

«اني احب سالي».

«انها تبذل قصارى جهدها. حبذا لو استطعت ان افهمها انه من الخطأ التودد الى انغو. عليها ان تكيل له الصاع صاعين».

«لو انها فعلت ذلك لأعتلّت صحتها طوال ايام. علينا ان ندعو ديف. فهو حلو المعشر كثير الاهتمام بنا ويجعلني اشعر بأني عدت صبية من جديد».

«انك صبية فاتنة وستظلين صبية مراهقة. انك امي التي احبها».

«شكراً يا عزيزتي. اعرف انك حكيمة».

«عليّ ان اسأل رأي انغو في الموضوع».

«لا تكوني ساذجة. اني متأكدة ان انغو لا يمانع في دعوة ديف. فتاندارو تتسع لجيش كامل. وفي الواقع حدّثت انغو عن ديف».

وأمسكت جيني خصلة من شعر امها وقالت:

«ماذا قلت لأنغو. ليس هناك شيء يمكنك اطلاع انغو عليه».

وأبعدت فليسيتي يد ابنتها عنها وقالت:

«الا تذكرين عندما كنتما تعودان في ساعة متأخرة من هاستينغز، وكيف كان ديف يحدثك عن حبه. كنت اشعر بدموعي تنحدر من مقلتي. انه

يريد الزواج منك. وهو في غاية الجدية يا جيني، عملي للغاية وله خطط كثيرة وهذا ما احبه فيه. ولكن يبدو ان كل خططي قد انهارت».

«وهل أخبرك انغو بذلك؟».

«اني لست خرقاء الى هذا الحد. انغو يحب الاطلاع على كل شيء. وقد يعتبر خطط ديف مهمة خصوصاً فيما يتعلق بالعروس».

وسألت جيني بنبرة آمرة:

«وماذا قال انغو؟».

«في الواقع، لم يكن جوابه مديحاً».

«وهل اعتقدت انه سيسر لأخباري؟».

«انه يعتقد انك بحاجة الى رجل قوي الارادة».

وهزت جيني كتفيها وقالت:

«ديف بكل تأكيد يفتقر الى هذه الميزة. والمرأة التي ستتزوج ديف من الأفضل ان تكون مستعدة لتكون الرجل القوي في البيت. ديف يتحاشى المشاكل ويسعى وراء السلام بأي ثمن».

«ظننت انك ترغبين في ذلك».

«هذا كان شعوري قبل ان التقي انغو».

وقالت فليسيتي:

«ماذا تعنين بذلك. لقد عدت بك الى تاندارو ولك من العمر خمسة عشر شهراً فقط».

«اني لا اذكر شيئا من ذلك».

«ولكن انغو يذكر حتى الأمور التي عايشها وهو صبي صغير. لقد رافق جميع مراحل حياتك الصالحة والطالحة، لذلك ليس بامكانك اخفاء أي شيء عنه».

«ليتك تغيرين الموضوع».

«حسناً عليّ ان اكون بهلوانية وأنا احدث انغو عن ديف».

«يا لها من ضربة حظ. لقد منحتني بطلا منقذاً».

«لقد حققت نجاحاً باهراً في دروسك وأنت تستحقين مكافأة ما. اعتقد اننا بحاجة الى فساتين جديدة. لنذهب غداً ونشتري البعض منها. تاندارو ستغص بالزوار وعليّ ان اكون مهيأة لذلك. اني أتوق الى ساعة وصولي الى

هناك. وبالطبع أنت لا تكترثين الى هذا الموضوع».

«لا يمكنني ان اقول ان اهتمامي بالموضوع يفوق اهتمامك».

«لن تكون مفاجأة لأنغو. فأنت تمتطين الجياد كالريح بعكسي تماما. وأقل ما يتوقع منك هو شكره على ذلك».

«في المرة الأخيرة بدا وكأنه يلومني على مهارتي».

«الحقيقة انك اخفته كثيراً وهو الذي لا يعرف الخوف. لقد وقعت على الأرض فاقدة الوعي وكان قد حذرك من الحصان».

«انغو لا يتحمل أي عصيان».

وقالت فليسيتي:

«أحياناً أنت بحاجة الى التحذير».

«اعرف ذلك. كانت غلطتي. لقد خدعت نفسي بأني قادرة على ترويض ذلك الحصان ولكني فشلت».

«انغو هو الشخص الوحيد القادر على ركوبه. انه حصان لا يقبل الا بسيد واحد. الكل كان يعرف ذلك. وقد اوقعت جيمي في المأزق. أرجوك يا جيني الا تعاودي الكرة مرة ثانية. لقد كان انغو في غاية الاضطراب».

«لم استمتع بالتأكيد عندما رماني الحصان وقد شعرت بالخطر قبيل وقوعه بثوان».

«يا لك من شجاعة».

«كان الحادث بمثابة انتحار في نظر انغو».

«انه دائما حارسك، عليك ان تكوني ممتنة له».

وردّت جيني بعصبية:

«لماذا؟».

«لربما كنت واقعة تحت تأثير ضغوط كبيرة. فأنت فتاة واعية للغاية وما من شك ان باستطاعة انغو ان يكون لطيفاً جداً عندما تكون الأجواء ملائمة».

«ان كبرياء انغو تثير غضب كل امرأة. واعتقد ان الأمور لن تصطلح بيننا من جديد».

«يخيل اليّ ان انغو يشعر هو الآخر بالاضطراب في رفقتك. أعني انك كنت مشغوفة به في الماضي واليوم تثورين في وجهه كلما تفوه بكلمة لا

تستسيغينها. انه لأمر محير. انكما تثيران أعصابي».

«عجيب انه لا يزال يرغب في دعوتي الى تاندارو. هل أنت متأكدة من ذلك يا أمي. انه آخر رجل في العالم أود فرض نفسي عليه».

«يا ابنتي العزيزة هلاّ أرحت اعصابك قليلا. لقد ألح انغو على مجيئك، بطريقته طبعاً. وأنت ما زلت تشاكسينه. انغو مغرم بك، ثقي بكلامي».

ومع ذلك بقيت ملامح جيني تعكس شعورها القديم بالعداء وقد علا وجهها احمرار شفاف جذاب، كانت تبدو غريبة عن نفسها والشعور الذي انتابها كان شعوراً مثيراً. لقد جعلها انغو وهو على بعد آلاف الأميال، تشعر بالدفء يملأ كيانها والعلاقة البريئة التي جمعت بينهما وهما يافعان قد تلاشت وأصبحت سراباً. وتعترف جيني في قرارة نفسها ان نظرات انغو ترعشها وتدخل الاضطراب الى قلبها. الأمر عجيب حقاً في ان يتلاقى العنف والومضات السحرية القديمة تحت سماء واحدة.

كانت تاندارو المكان الوحيد الذي يجمع بين رموز العشيرة والمناظر الخلابة والفصول المتقبلة وتقلبات الزمن والجفاف القاتل والبراري الشاسعة المكسوة بالزهور البرية الخلابة. عنيفة شامخة ومأساوية تملأ الرؤية. والأخطر من كل ذلك أن صورة انغو كانت لا تبارح مخيلة جيني كأنه يتحداها في أعماقها لتنبذه.

غريب أمر تلك العلاقة كيف كانت تلاحق جيني كصورة محفورة على الابيض والاسود متكاملة في دق تفاصيلها. ولم تكن قادرة على فهم كل ذلك. كان بمقدور انغو ان يحولها الى اي شيء يريده في خلال عطلة اسبوع. له قوة متسلطة تفوق التصور وشخصية فذة نابعة من تراثه العائلي. فهل كانت جيني على طريق العودة الى سمائه المحرقة والى قبضته. لقد كان عملا شجاعاً للغاية لأن الخطر ماثل أمامها ولم يكن بوسعها أن تحدث احداً عنه، كل دقيقة كانت تقضيها برفقة انغو كانت مشحونة بالمشاعر. وبلمحة بصر تراءى لها وجه انغو الجميل بتقاسيمه الصارمة فلوت شفتيها وكأنها تعاني من آلام مبرحة. كان انغو بمثابة حمى تتلظى بحرارتها.

٢ - اللقاء العاصف

وضعت جيني راحتيها على صدغيها وهي تحدق بزرقة السماء، وكان شعرها الحريري كهالة فضية فوق رأسها، يتلألأ تحت اشعة الشمس المحرقة، وقد اخفت عينيها وراء نظارتها. وعلى بعد بضعة امتار استرخت فليسيتي بدلال في ظل الشجرة الوحيدة هناك، وقد بدت نضرة كزهرة زرقاء في قيظ الصيف. وكانت جيني لا تعرف الهدوء تروح ذهاباً واياباً بخطى مختلسة ومنتظمة كقطة فضية صغيرة وهي تنتظر مجيء انغو. ولو لم يكن الحر شديداً لهرعت فليسيتي اليها وطلبت منها ان تجلس.

وفجأة دوى في السماء طنين محرك مألوف ما لبث ان تحول الى بريق هيكل طائرة. وشعرت جيني بقطرات العرق تتساقط على صدغيها وخصلات شعرها تلتصق بوجهها. فالتفتت الى امها وقالت بصوت عال:

«ابدأي بالتلويح له. ها هو آت».
ونهضت فليسيتي عن كرسيها على الفور وحركت يدها وهي تمسح نظارتيها.
«هذا هو انغو، دائماً الأحسن».
ردت فليسيتي وهي تتوجه نحو الطائرة يدفعها توق شديد لمقابلة انغو. اما جيني التي كانت تخشى القيام بأي حركة خاطئة، فقد بقيت في مكانها تراقب مشهد الترحيب عن كثب، وكان عليها ان تعترف ان المشهد كان شاعرياً وعفوياً. فقد بدا انغو بقامته الطويلة مغلفاً بهالة شفافة وقد تعلقت فليسيتي بعنقه كطفلة صغيرة شقراء نجت من كارثة في الصحراء.
وتنهدت جيني وهي تتنفس بعمق وقالت في نفسها:
«قريب امي. انغو الأسود. انه امر عظيم».
وحتى من بعيد كان انغو قادراً على خلق جميع انواع الاضطرابات، كانت يده اليمنى تلف باسترخاء كتفي فليسيتي وهو يسير معها نحو جيني التي كانت تقف بدون حراك، فيما كانت فليسيتي تحدق في وجهه الداكن وهي تشعر بالراحة والسعادة لهذا الترحيب الذي لا يتناسب مع تصرفات جيني الخرقاء. قال انغو ونظراته الثاقبة تلامس وجه جيني:
«مرحباً يا جيانينا».
«مرحباً».
«كيف جئت الي! بالحرب او بغصن الزيتون؟».
«هذا يتوقف كلياً عليك».
«تصرفي كما شئت. لم تكبري على الاطلاق».
«وهل علي ان انضج. اني في العشرين من عمري».
«اعرف ذلك».
وبدأت نظرات فليسيتي القلقة تنتقل من احدهما الى الآخر وقالت في محاولة لانقاذ الموقف:
«لقد نجحت بتفوق في الامتحانات النهائية».
وردت جيني مؤنبة:
«لم احصل بعد على النتائج النهائية».
«مهما يكن الأمر فانك ستنجحين».

قال انغو بخشونة وهو يكاد يصعقها بنظراته المشعة. واضاف:
«يا الهي من بين جميع مخلوقاتك أيجب ان تكون اجملها ولروعها واكثرها تحولاً امرأة؟».
«اذن انت لست اعمى يا عزيزي».
قالت فليسيتي بابتسامتها الحلوة.
تطلع انغو الى فليسيتي وقال:
«انك تبدين ساحرة للغاية. انك رائعة كالعادة. هل تريدين الصعود الى الطائرة. ساعطي بعض التعليمات واجمع الحقائب. علي ان اعود الى تاندارو قبل الثالثة لاستقبل زبوناً اميركياً دان هاول انك لا تعرفينه. ويخيل الي انه سيمكث بضعة ايام».
وسألت فليسيتي:
«انه اذن رجل وحيد».
«اجل اياك ان تتورطي معه. هل قلت شيئاً يا جيانينا؟».
«كلا».
«بامكانك ان تفصحي لي عن افكارك. لقد سمعت ان لك صديقاً جديداً».
«هذا امر طبيعي. اليس كذلك؟».
«اعتقد ذلك. ستحصلين على مجموعة منهم وباسماء مختلفة».
«اني لا اطيق الانتظار».
«مصير محزن. اليس من الأفضل ان تحفظي نفسك لرجل واحد؟».
«ربما افعل ذلك».
وتدخلت فليسيتي قائلة:
«كفى ايها الأولاد. اهذه هي واحدة من معاركما الحامية؟».
«كلا بالطبع. انغو يتوق الى القيام بدور الرجل الخشن. اليس كذلك يا انغو؟».
«بالطبع يا ملاكي».
«لم تناديني بهذا الأسم منذ زمن طويل».
«انه يناسبك احياناً اذا تجاهلنا هاتين العينين اللاهبتين. والآن اذهبي مع فليسيتي كفتاة طيبة. سأغمرك بالعناية عندما اصل الى المنزل».

واتجهت فليسيتي الى الطائرة فرحة وتبعتها جيني التي كانت لا تزال تمسك بيد انغو الذي قال لها:

«كان اللقاء حاراً. لقد افتقدتك».

ردت جيني بمكر متعمد:

«وانا التي كنت قلقة من المجيء».

«لا تتركي فرصة تفوتك يا جيني وابدأي الهجوم».

«وقد اؤذيك».

«لا سبيل الى ذلك يا صغيرتي وانت بهذه الجاذبية. بعد كل هذا الغياب قد تتكرمين علي بنظرة».

«اني لست بلهاء الى هذا الحد فقد اقع فريسة سحرك المنوم».

«جربيه».

«لا احب اللعب بالنار».

«لا اشك في ذلك».

وتساءل انغو وهو يحدق بجيني: كيف استطاعت الطبيعة ان تجمع بين هاتين العينين الحالكتين وخصلات الشعر الفضية كالطيف.

«انه الساحر الغامض نفسه الذي وضع هاتين العينين في وجهك واللتين تلاحقان كل شاردة وواردة».

وامسك انغو بذقن جيني وهو يضغط برفق عليه:

«هل سنصبح عائلة كبيرة وسعيدة من جديد يا جيانينا؟».

«لا تنادني هكذا».

«ولماذا لا، انه اسمك وهو يناسبك تماماً. انك مزيج غريب. بالطبع اذا كنت تفضلين حضور برات فبامكاني ترتيب الأمر على الفور».

ولم يتمالك انغو نفسه فامسك خصلة من شعرها وشدها بخشونة.

ومالت جيني قليلاً الى الأمام وقالت بتحد:

«اني لا افتش عن المشاكل».

«لست مضطرة يا جيانينا فالمشاكل تلحقك اينما كنت. الا تعرفين ذلك؟ فليسيتي تبدو قطة صغيرة الى جانبك».

وابعدت جيني رأسها وقالت بلهجة ساخرة:

«قد يكون من الأفضل جعلك تلاحقني. فكل ما يبدر مني يثير

اعصابك».

ورد انغو وهو يقهقه:

«كلا انه يسممني. في كل حال اذا لم تبتسمي لي فقد القيك من الطائرة».

«كنت اظن انك تزدري بسمات المرأة».

«ليست بسماتك. لا تنسي اني عرفتك منذ نعومة اظفارك، وتروعني طريقة تصرفك الآن».

ورفعت جيني رأسها وقالت:

«قد افكر بشيء لأغير الأمور».

«لقد راودتني فكرة الآن. هل تودين سماعها؟».

«كلا، شكراً يا انغو».

«حسناً، لقد بذلت جهدي. من الواضح أنك لا زلت طفلة متوحشة».

«هذا امر مضحك».

«مضحك جداً، من الممكن انك شعرت بالخوف وعليك ان نواجهي مستجدات الزيارة بنفسك».

«بدون الاشارة اليك».

«قد يكون الأمر سيان».

ورفعت جيني يدها بارتباك الا ان انغو امسك بها بسرعة وقال:

«والآن ماذا تريدين؟».

«حالما تنظر الي تحاول على الفور جعلي دمية من الورق بين يديك».

«جيانينا».

«ان فليسيتي تنظر الينا. دعنا نتوقف عن الجدال رفقاً بها».

«معك حق. فالأمر ليس مهماً الآن ولدينا متسع من الوقت. هلمي واصعدي الى الطائرة. مما لا شك فيه ان فليسيتي انشأت طفلة رائعة ولكنها نسيت ان تلقنك شيئاً واحداً عن مداعبات النساء. علي ان املأ هذا الفراغ».

«ان المداعبات تثير اعصابك. لا تنكر هذه الحقيقة يا انغو. اني اعرفك جيداً».

«قد تكون مريحة في بعض الأحيان».

قال انغو وهو يتفحص وجه جيني بامعان.
وردت جيني بعصبية:
«ان سالي تجيد المداعبة. اليس كذلك؟».
«الآن وقد فتحت الموضوع، انها ثرثارة احياناً».
«انك قاس للغاية».
«هذه هي الحقيقة، يا عزيزتي».
«اني اعني ما قلته».
«ولماذا؟».
«لأن سالي مغرمة بك. ومن واجبك ان تخفف عنها تعاستها».
«مقابل ماذا؟».
«الزواج منها. هذه امور تحدث. لا تنسى ان تاندارو بحاجة الى وريث».
«الوقت لا يزال مبكراً يا جيانينا».
«طبعاً، ولكنك تريد ولداً، اليس كذلك؟».
«طبعاً اريد. ولكن اريد ايضاً المرأة المناسبة».
«اني لا اصدق ذلك».
«من اجل النسل. اليس كذلك؟».
وانتفضت جيني وقالت بعصبية:
«كلما رأيتك شعرت برغبة ملحة في تسديد لكمة اليك».
«ليس بامكانك فعل ذلك، ايتها القطة الصغيرة».
«يخالجني شعور بأني سأقوم بالمحاولة في وقت قريب».
وقال انغو محذراً:
«تذكري ما حصل في المرة الأخيرة».
«اني لا ازال اذكر. بعض الناس يعتقد انك بطل، او ملك جبار. ولكنهم يجهلون الناحية الأخرى من طبيعتك».
«انت على الأقل لا تجهلينها. وعلى فكرة، الآن وقد ذكرت الموضوع اعتقد اني سأفكر بالزواج من سالي فهي كما يتخيل الي ستكون اماً رائعة».
«في الواقع انك لست بحاجة الى زوجة».
«ولماذا تتكدرين من هذا الموضوع؟».

وحاولت جيني التراجع فقالت:
«اذهب الى الجحيم يا انغو».
«اعتقد انك ستلحقين بي الى هناك. ولكن ما هي اخبار ذلك الحبيب المجهول؟».
«انه مجرد صديق، كما تعرف ذلك تماماً. في كل حال لقد دعوته الى تاندارو».
«يا الهي، وماذا سأصنع بغيرتي».
«يا لها من نكتة سخيفة».
«وماذا تعرفين انت عن غيرتي؟ اني في الحقيقة اهتم بك. وعندما ستجتازين مرحلة الفتاة المتمردة الخرقاء فاني ساعاملك بطريقة مختلفة».
«اني فتاة راشدة الآن وانت تعرف ذلك».
وشدد انغو على القول:
«اعني راشدة بالمعنى الصحيح».
«ارى ان ليس هناك هدنة».
«كلا، فالحرب مستمرة، وبمقدوري ان اهدم جميع الحواجز ولكني اريدك ان تركليها انت بنفسك هل تبكين في نومك؟».
«مطلقاً، في كل حال ليس من اجلك».
«لو امكنني التأكد من ذلك. حسناً كفانا مهاترات فالمسكينة فليسيتي لا تنفك عن التلويح بيدها من وراء زجاج النافذة».
«ربما هذا كل ما تستطيع ان تفعله الآن. هيا لنذهب».
«هذه هي فتاتي ومن يدري فقد تتحسن في المستقبل القريب».
وامسك انغو بيد جيني ودفعها الى الطائرة وقد عادت الى وجهه صراحته المألوفة مما ملأ قلب جيني بالارتباك والخوف. وتساءلت وهي تدخل باب الطائرة: «هل سأتعلم في المستقبل؟». والتقت عيناها بعيني امها المستطلعتين ولكنها لم تنبس بكلمة. واكتفت بابتسامة عريضة. كانت زرقة السماء صافية جميلة. وسارعت جيني وجلست في مقعد وراء امها وهي تشعر باضطراب مربك لا تعرف مصدره.
وسألت فليسيتي:
«ما كان ذلك الحديث الطويل؟ لقد تأخرتما كثيراً».

«انت تعرفين كيف يمضي الوقت. كان انغو يحدثني عن امور كثيرة. وقد سره ان رآك بهذه النضارة».

وانبسطت اسارير فليسيتي عن ابتسامة عريضة وقالت وهي تتمدد بدلال:

«هلا تابعت مديحك يا انغو. اني اتساءل ما هو شكل هاول؟».

«وهل هذا مهم؟ لا تكوني حمقاء الى هذا الحد يا عزيزتي. ان الرفقة اللطيفة دائماً مستحبة. لا بد انه ثري وقد جاء ليشتري محصول تاندارو».

«المال متوفر في كل مكان هنا، فلماذا لا تمدّين يدك وتغرفين منه؟».

«هذا عظيم يا عزيزتي، كنت اخشى ان تريديني انهي ايامي ارملة حزينة».

«انك لن تكوني سعيدة بهذه الطريقة».

«انغو يبدو الطف من اي وقت مضى وفي غاية الجاذبية».

«انغو لطيف؟ قد اجد عشرات الكلمات لوصفه ولكن كلمة لطيف لن تكون واحدة منها».

«انه لطيف بالنسبة الي».

«الفضل يعود الى سحرك الخاص. انك لا تثيرين غريزته الوحشية».

«ليس لي سبب في ذلك. وكل ما ارغب فيه هو ان تعود العلاقات بينكما الى سابق عهدها. كان بامكانك ان تبتسمي له ولا ادري لماذا وضعت قناع الحرب على وجهك؟».

«انها الطريقة الوحيدة التي اعرفها للسيطرة على نفسي. في كل حال ها هو الرجل الكبير قادم الينا».

والتفتت جيني الى انغو. وقد تسمرت عيناها اليه وهو يقترب منها بشعره الأسود الكثيف الذي تتخلله تموجات بنية تحت اشعة الشمس. واستطاعت جيني ان تبعد نظرها عنه وقد شكرت حظها اذ كانت امها قد اختارت ان تجلس في مقعد الطيار المساعد.

وحركت جيني رأسها بفتور واغمضت عينيها، فهي لم تكن من محبذي السفر في اي يوم من الأيام. ولكن استرخاءها لم يطل ففتحت عينيها بعد قليل على صوت انغو يقول لها:

«اعطنا فرصة يا جيني. الا تريدين مشاركتنا في الحديث ام انك جئت

لتستعيدي ما فاتك من نوم؟».

«كلا جئت لاضفي سعادة متناهية على رفقتك».

«واخيراً عاد قلبك الى مكانه الصحيح».

وقالت فليسيتي باعتزاز:

«جيني هي الابنة الكاملة».

«اتسمعين ذلك يا جيانينا؟».

وتجاهلت جيني سخرية انغو وقالت:

«شكراً يا اماه».

وردّ انغو على الفور:

«اعتقد ان تربيتك تفتقر الى افاق جديدة واني اقول هذا بصوت مرتفع».

«هذا امر سهل هنا يا عزيزي انغو».

«ليس لك من مفر اليس ذلك يا جيانينا؟»

«الم تصغ الى ما قالته فليسيتي؟».

«انك ستقعين في المشاكل».

«قد اقع فيها هنا في هذا المكان».

وتدخلت فليسيتي في محاولة لانهاء النقاش وسألت:

«متى ستأتي تريش؟».

«في الاسبوع المقبل».

اجاب انغو بغطرسة ظاهرة وهو يدير وجهه نحو فليسيتي.

وحدقت جيني في ظهر انغو العريض وسألته بدون تردد:

«لماذا لا تدعو امك الى تاندارو؟».

وادار انغو ظهره بعصبية والغضب يتطاير من عينيه كبريق صاعق ورد قائلاً:

«هل فكرت كثيراً بهذا السؤال؟».

«كلا لقد خطر على بالي لتوه. انك انسان قاسي القلب. الست كذلك يا انغو الأسود؟».

«اجل انني متوحش وانت لست بمأمن مني على الرغم من انك تختارين رفقتك».

كانت عينا فليسيتي الزرقاوان مليئتين بالتوسل فقاطعت ابنتها قائلة:

«جيني، جيني ماذا دهاك؟ أين تصرفاتك اللائقة؟».

«لا بأس يا فليسيتي. اني احب النساء الصغيرات المشاكسات واتوق الى اثارتهن كقطط صغيرة ثم اراقب غضبهن».

«لقد كان الأمر طبيعياً، يا انغو، واني جادة فيما قلته. اذا كانت امك بالجمال الذي يقال عنها. . .».

«كفى».

وجاء صوت انغو كضربة سوط. الا ان جيني قاومته بوميض نظرة غاضبة وقالت وهي ترفع يديها:

«حسناً، اني افهم الانذار. ما كنت احلم في اغضاب سيد المواشي».

«انك في الواقع تربكين امك يا عزيزتي».

قالت فليسيتي وهي تحاول ردع ابنتها بنعومة.

«اذن تقبلي اعتذاري قبل ان اغادر المكان. وفي كل حال سيان ان كنت هنا او لم اكن، فأنت وانغو راشدان فقط».

وفجأة وبصورة غير متوقعة انفجرت فليسيتي بالضحك وهي تقول:

«طفلتي الصغيرة، لا تكوني حمقاء».

«هذه هي في الواقع، انها مجرد طفلة مأساوية. وهي بحاجة الى الكثير من التطمينات».

«انني امرأة تستطيع أن تكرهك يا انغو العزيز».

«تكرهيني، وما هي الخطوة التالية؟».

«انها لا تكرهك على الاطلاق يا انغو».

قالت فليسيتي محاولة تخفيف حدة الخصام واضافت:

«اظن ان هذا النوع من الأمور قد يستمر الى ما لا نهاية. من المذهل أن يقع جميع الشبان في حبها وهي تدفعهم عنها».

وردد انغو بصوت خافت:

«جميع الشبان يقعون في حبها! لا تكوني حمقاء يا فليسيتي».

«انه ليس بالأمر الغريب، يا عزيزي. جيني فتاة جميلة».

«وغير ناضجة للحب والزواج».

«وأنت كذلك».

ردت جيني بحماس وقلبها يزداد خفقاناً.

«ربما اننا خائفان».

وسألت فليسيتي وقد توجست خوفاً من لهجة انغو الغامضة:

«هل تلومني على شيء صنعته لجيني؟».

«زواجك الكارثة».

«دع امي وشأنها».

قالت جيني بغضب. وامسكت بكتفيه. ولكن انغو كان اسرع منها فامسك باصابعها بقوة قائلاً:

«قد تجدين نفسك على ركبتي»

«انك تؤلمني يا انغو».

«سامحيني، ارجوك».

وامسك بيدها ووضعها على فمه. وردت جيني وقد اصابها الألم:

«دعني اذهب».

وقالت فليسيتي:

«انكما طائشان حقاً. اتعرفان ذلك؟».

وسحبت جيني يدها بسرعة وقالت وهي ترتجف:

«لا بأس يا فليك انه الرابح الآن ولكن انتظري حتى الجولة الثانية».

واستطردت امها قائلة:

«لقد اخفتماني في الواقع».

«لا تخافي يا فليك».

قال انغو وقد افتر ثغره عن ابتسامة جميلة واضاف:

«ان هدوءك لا يقاوم بالمقارنة مع تصرف جيني المجنون. اني احب تصفيف شعرك الجميل، انه رائع».

وزمجرت جيني ولكن فليسيتي تقبلت المديح وسألته:

«الا تفضله اطول؟».

«كلا. انك تبدين اصغر سناً حتى اني اشعر اني هرمت».

«انت؟ انك مليء بالحيوية الدائمة».

ردت فليسيتي بصوت عال.

«لا تهتما بامري».

قاطعت جيني واضافت:
«انكما تجعلاني اشعر بأني حمقاء».
ورد انغو بجفاء:
«اذن القي رأسك الفضي الى الوراء وتجاهلينا. وان كنت غير راغبة ببعض المديح فأنا استسيغها ولا اتوقعها منك».
«اعتقد انك فاتن للغاية يا انغو، ولكني لا اظن ان هناك امرأة قادرة على اخضاعك».
«اخضاعي؟».
قال انغو بزهو حيال رجولته الصارخة.
«اجل، اعني المرأة التي تجعلك تركع على ركبتيك امامها».
«يا الهي».
وردت جيني بنعومة:
«احلم بحدوث ذلك».
«وأنا اكاد لا احتمل الانتظار».
وقالت فلسيتي وهي تتبع السياق المنطقي لافكارها:
«انا متأكدة ان سالي دبرت دعوة لنفسها بطريقة ما».
ووافق انغو على ذلك قائلاً:
«انها بدأت تنوه بأمور عديدة».
وسألت فليسيتي:
«ولماذا لا تتزوجها؟».
«افقدت عقلك، يا فليك؟».
وقهقه انغو بشكل مفاجىء وجذاب كعادته وقد برقت عيناه وانبسطت اسارير وجهه الصارمة الجذابة. وعادت في تلك اللحظة الى مخيلة جيني ومضات من الذكريات يوم كان انغو يعلمها السباحة والغطس وركوب الخيل وكيف كان يصنع لها باقات الزهور البرية ويضعها على رأسها ويطلعها على اسرار الرسوم المنحوتة في الكهوف وما تحملها من اساطير وخرافات. ذلك هو انغو الذي كانت تحبه.
وهناك في تاندارو العالم الممنوع حيث لا وجود للحب في حياة انغو او لأي شعور عاطفي. انغو كان القائد الكبير المتحرر من عبودية النساء.

امرأة واحدة آذته في اعماقه. انها امه. المرأة المحبوبة التي حملته وانجبته. ولن تكون هناك فرصة اخرى لايذائه.
وكأن شعوراً خفياً نبه انغو الى افكار جيني فادار رأسه فجأة ونظر اليها وقال متعجباً:
«يا للعنة انك تبكين».
«كلا».
«بل على العكس ايتها الحمقاء الصغيرة».
وصرخت فليسيتي وقد فقدت صبرها:
«كفى ايها الأولاد».
وتساءلت جيني:
«لا اعتقد ان بضع دمعات تقلقك».
«دمعاتك، اجل».
«انها تغيظك. واذا اردت معرفة السبب، كنت ابكي بسببك يا انغو».
«لا يمكنني تصور ذلك».
قالت فليسيتي وهي تنظر الى عيني ابنتها بقلق علها تسبر افكارها. واضافت:
«يا حبيبتي، مِمَّ تشكين؟».
«لا شيء يا امي».
«ربما كان حبها الأول، ويقال ان ناره تبقى متأججة».
قال انغو بلهجة طبيعية. وسألته جيني:
«وما هو رأيك انت؟ ام انك لم تعرف الحب الأول؟».
ورد انغو بسرعة:
«اني جبان».
«قد تكون جباناً فأنت لا تدفع احداً للاقتراب منك».
«سأقول لك امراً يا جباننا. انت في فكري دوماً».
وقالت فليسيتي وهي مشدوهة بما تسمع:
«هذه امور غريبة».
والتفت انغو اليها وهو يرى في عينيها الزرقاوين علامات اليأس:
«فليسيتي ايتها المرأة الناعمة الحساسة، كيف انجبت مثل هذه الأبنة

الجهنمية الشيطانة؟».

«اني لا اوافقك على هذا القول. فهي تتصرف بهذا الشكل معك فقط».

«اذن كل الفضل يعود الي».

وابتسمت فليسيتي وقالت:

«هكذا يبدو الأمر يا عزيزي».

وردت جيني بسخرية:

«لقد اضعنا طريقنا. وأنت هو الذي اختفى كلياً اما انا فلم اتغير».

«هلا اعدت ذلك من فضلك؟ اني اكاد لا اصدق ما اسمعه».

«قلت اني ما زلت على ما كنت عليه. والمشكلة اني فقدت رفيقي وصديقي العزيز».

«الا تعتقدين ان السبب هو انك جميلة وامرأة؟».

وردت جيني بتكشيرة محببة:

«بامكانك ان تقف عند كلمة امرأة فقط».

«يا له من لغز» قال انغو مبتسماً واضاف: «اني ما زلت احبك يا صغيرتي، صدقت ام لم تصدقي».

وقالت فليسيتي بصدق ظاهر وهي تبعد عن مخيلتها صور مغامراتها البائسة:

«هذا غير طبيعي بالنسبة الى رجل».

«الانحرافات ليست محصورة بالرجال فقط يا فليسيتي».

قال انغو وهو يشعر بضيق من تورطاتها الطائشة وخصوصاً انه كان يحملها مسؤولية اضطرابات جيني والتوترات التي كانت تغمرها تجاه تصرفات امها. وفي الواقع كانت فليسيتي اماً حنوناً ولكنها غير قادرة على فهم مشاعر ابنتها العميقة وذكائها المفرط وحساسيتها البالغة.

وقالت جيني في نفسها لعلي في حاجة الى هذه الميزات فالرجال في الواقع، وقد يبدو الأمر مؤلماً، لا يميلون الى النساء الذكيات والواثقات من انفسهن. فهم قد يوافقون في اقوالهم الظاهرة وفي مقالاتهم على الحركات التحررية التي تنادي بها المرأة، ولكنهم في قرارة انفسهم لا يعنون كلمة واحدة منها. فهم ينشرون مقالاتهم التي مع الأسف لا تعني شيئاً سوى

الرياء. ما من شيء تغير منذ عهد انسان الكهوف.

في أي حال انغو لن يقبع في كهفه، تابعت جيني تخيلاتها. فهو سيتحدى الظواهر الطبيعية ويلاحق الحيوانات المفترسة ويجمع قومه تحت لوائه ويجر امرأة من شعرها يختارها لنفسه. كان انغو عنيفاً ولكنه كان انيقاً للغاية ومهذباً في المجتمعات ولكن ذلك لم يكن سوى قشرة سطحية. فهناك عناصر في اعماق انغو كانت جيني تخشاها. فهو يثير الاضطراب في كيانها والأخطر من ذلك انه غالباً ما يفتنها بطلته وصوته الجذاب. وهي لا تزال تشعر بملامسة شفتيه على يدها.

وتنحنحت جيني قليلاً وهي تسترخي في مقعدها، فبعد قليل ستحط الطائرة في تاندارو عاصمة عالم انغو. واذا كانت تريد لوم احد، فكل اللوم يقع عليها لأنها هي التي رمت بنفسها في عرين انغو، اخطر واجمل بقعة في العالم.

٣ - طبول تقرع في ضوء القمر

لم يسبق أن تمتع دان هاول بأوقاته مثلما كان يتمتع الآن. فقد كان محاطاً بشقراوين جذابتين تلتهمان كل كلمة يتفوه بها. ومع انه في الخمسين من عمره وواثق من نفسه الا ان هذه الأمور تسعده. كان صورة مطابقة لأبطال رعاة البقر الذين تشاهدهم جيني في الأفلام السينمائية بوجهه الأحمر القرميدي المحروق باشعة الشمس ومنكبيه العريضين وشعره الكث المائل الى البياض، وعينيه الزرقاوين الفاتحتين اللتين تعودتا رؤية القفار الشاسعة، فاكتسبتا قوة تنفذ بود الى الصميم. كانت فليسيتي وجيني تنظران اليه وكذلك كانت تفعل العمة ايفلين بشيء من الحيرة ولكن باهتمام ظاهر وهو يخبرهن عن ذلك الجزء من العالم والحياة في تكساس.

وقالت فليسيتي:

«يا الهي اكاد ارى كل شيء امامي بوضوح».

«شكراً جزيلاً».

«سألته فليسيتي بافتتان:

«هل تعني ما تقوله؟».

«أجل. لا ادري منذ متى لم تقع عيني على امرأة اجمل منك».

وكست وجنتي فليسيتي حمرة شفافة وقالت:

«لا تنسَ يا دان انني اكتسبت مناعة ضد الاطراء».

«انها الحقيقة المجردة».

وشعرت فليسيتي بدفء يتغلغل في عروقها وقالت:

«لا اذكر انك ذكرت السيدة هاول؟».

وهز دان رأسه علامة النفي وقال:

«لا توجد سيدة هاول ولكن سيحدث هذا الأمر آجلاً ام عاجلاً».

«اني اكاد لا اصدق انك لا زلت عازباً».

«هذه هي الحقيقة».

وحاولت ايفلين ان تخفي دهشتها ونظرت جيني الى انغو وقد بدا مأخوذاً بالحديث وارتسمت على فمه ابتسامته الساخرة المعهودة ورد الى جيني نظرتها.

وقطعت فليسيتي الصمت وقالت لدان وهي تؤكد لنفسها ان الطريق القصير هو الأفضل:

«ما رأيك بنزهة تحت سماء الليل؟».

وسأل انغو بخبث:

«ونحن ايضاً؟».

«لقد رأيت مشهد السماء من قبل. ولعل دان لم ير سحر سمائنا».

«هذا صحيح لم ار نجمة الجنوب تشير الي من قبل».

قال دان مبتسماً وهو يشعر بالارتباك بعد ان رأى الدهشة ترتسم على وجه جيني. ولأن جيني كانت صغيرة السن، لم يجسر دان على النظر اليها مطولاً ولكنه وجدها رائعة بشعرها الفضي وخصلاتها الثائرة المبعثرة على وجهها الجذاب وعينيها السوداوين المفعمتين بالحياة. كانت جيني جميلة للغاية بشبابها الغض وملامحها الايطالية البارزة ولكن وجهها لم يكن سعيداً. كل

شيء فيه كان رائعاً، غير انه كان حزيناً تكسوه غلالة من الأسى العميق. ربما كان السبب حباً يائساً فالفتيات بهذا العمر ينجرفن في عواطفهن، خصوصاً الفتيات مثل جيني. وابتسم دان لها محاولاً تطمينها لأمر كان يجهله، وردت جيني له الابتسامة بطريقة كادت تقطع انفاسه.

وكان انغو يتابع نظرات دان وهو يعرف تماماً الأسباب الكامنة وراء اضطراب جيني المعهود. فقطع الصمت وقال:

«حسناً يا دان، قد تفوتك الفرصة. اني اعرف ان فليسيتي دليلة لا تضاهى».

«لتساعدني السماء فأنا لا اطلب اكثر من ذلك. وقد اتمكن في يوم من الأيام ان اريك سماء تكساس. انها رحبة. لقد شاهدتها يا انغو فقل لها كيف تبدو؟».

وابتسم انغو ابتسامة عريضة وقال:

«الحقيقة لا استطيع القول أيها اجمل».

وردت فليسيتي:

«تقول ذلك لتتجنب دخول جدال».

«في اي حال انك تتكلمين مع شخص يملك ممتلكات شاسعة».

وقاطعه دان قائلاً:

«قد لا تكون ممتلكاتي بحجم مزرعتك، وليس هناك مجال للمقارنة. هذا اكيد. ويبدو لي ان الحياة شيقة في هذه البراري، ولا عجب في ان يتزايد عدد القصور الانكليزية في القفار الاوسترالية».

«انها احلام التأصل في الأرض». قال انغو وهو يضع كوب عصير الفواكه على الطاولة واضاف: «انها الرغبة العميقة في انشاء مكان للاجداد في البراري. والكل يعرف ان الانكليز شعب غريب الاطوار لا يقف عند عقبة تحول دون تقيدهم بالنظام وبالذوق السليم في اكثر الأماكن وحشة. وأعتقد اننا سرنا على الطريق نفسه».

عندما خرجت فليسيتي ودان للنزهة في سيارة الجيب لمشاهدة جمال الليل من على تلة سبيريت هيل حيث تغفو الطبيعة في سحرها الدائم، خيم سكوت عميق على الباقين وهم يرتشفون القهوة حول مائدة الطعام. وقطعت العمة ايفلين الصمت وهي ملتفة بعباءتها البنفسجية الجميلة

وقالت بلهجة قاسية عبرت فيها عن استهجانها:

«لدي شعور بأننا لن نراهما عما قريب. ولكن بحق السماء، لا تربكي نفسك يا جيني».

«انت تعرفين فليك. لقد كانت منسجمة مع الاطراء وهو يبدو رجلاً لطيفاً للغاية».

«ان نهج الحياة الذي كنتما تسيران عليه يثير اشجاني».

ورد انغو قائلاً:

«عمتي ايفي تمالكي نفسك».

«ليس في يدي حيلة. تصرف فليسيتي اليوم ذكرني بتصرفاتها في المرة الأخيرة».

«ليس مع هوغي بالطبع».

«لا ليس هوغي، بل الاخر لقد نسيت اسمه».

«ستيورات»

قالت جيني باذعان.

«انه لأمر مخز. لقد جاء الرجل لشراء المحاصيل وها هي فليسيتي تلاحقه».

«ارجوك يا عمتي ايفلين. انني احب امي اكثر من اي شيء في هذا العالم. انها كطفلة صغيرة وهي لا تدرك بأنها تحرجنا. انني متأكد بانها ستكون علاقة عابرة».

«سنعطيها ساعة واحدة فقط وبعدها سنذهب وراءهما».

قال انغو بشيء من الاكتراث واضاف:

«اني اراهن بأن دان يعتقد الآن بانه رأى اجمل امرأة في حياته، مع اني على يقين ان نظرات جيني صرعته في مكانه».

قالت جيني وهي تدير رأسها وقد تلألأت خصلات شعرها تحت اشعة الشمس.

«لم افهم قصدك».

«انت تشعرين تماماً عندما ينظر رجل اليك، ولكنك تتجاهلين الأمر».

«ولكني لم الاحظ ذلك».

وردت العمة ايفلين هذه المرة وقالت:

«اما انا فلاحظت. ومن حسن الحظ انك لا زلت طفلة».

«كلا يا ايف. لقد حصلت تغييرات كبيرة خلال السنوات الأخيرة، بينها لم تطرأ تحسنات في ميادين اخرى».

ونهضت جيني وكأن شيئاً اغاظها وقالت:

«اذا كنت لا تمانعين يا عمتي فاني ساخرج قليلاً. آمل ان تعجبك الاسطوانات التي احضرتها لك».

«يا طفلتي العزيزة، شكراً لك مرة اخرى. انه لجميل منك بأن تفكري فيّ ولا انسى كتبي المفضلة».

وقال انغو:

«تذكّريها وأنت تكتبين وصيتك».

وردت العمة ايفلين:

«كما تعلم لقد كتبتها منذ سنوات. مع الأسف لم يترك لي والدي مبلغاً كبيراً».

«كنت اعتقد انك امرأة غنية».

قال انغو وهو يضحك في وجه عمته.

«بامكاني ان اقول لك اني وزعت ثروتي بالتعادل بينك وبين جيانينا التي اخشى ان تكون بحاجة كبيرة اليها والى جانبها مثل تلك الأم».

وهز انغو رأسه وقال وقد ظهر على وجهه بريق من الدعابة:

«ايفي، اني فخور بك، واعدك باني سانفق حصتي بحكمة. اما جيني التي عقدت لسانها الدهشة فيجب ان تركع على ركبتيها وتشكرك. فبفضل كل ذلك المال لن تضطر للزواج».

«اني لا اتحمل رؤية جيني عانساً. انظر الي. كان ابي يردد دائماً انه لا يوجد رجل يستحق ان يتزوجني».

«ولماذا لم تقرري بنفسك؟».

«ليتني فعلت ذلك لكنت اليوم ربة عائلة ولي اولاد. ولكن كما تعلمان اني احبكما كاولادي على الرغم من جدالكما الدائم».

وقالت جيني بصدق:

«يبدو لي ان الفتاة العانس ليست عبئاً». واضافت: «وبكل تأكيد انها افضل من امرأة متزوجة تعيسة».

«قد يكون هذا الخوف هو الذي ابعدني عن الزواج».

«اني افهم ما تعنينه».

قالت جيني وقفزت من مقعدها واقتربت من ايفي ووضعت ذراعها حول كتفيها الهزيلتين وقد اغرورقت عيناها بالدموع.

ووقف انغو بدوره وقال مؤنباً:

«هلا توقفتما عند هذا الحد. اني اكاد لا استطيع كبت مشاعري. قد تكونين حزينة كونك عانساً ولكن لا تنسي يا عمتي انك اعتنيت بتربيتي. وهذا امر رائع».

«اجل وانا فخورة بك، واعرف كم انت لطيف وحنون».

وقالت جيني بتحد:

«عليك ان تطلعيني على هذه الصفات في يوم من الأيام. فاني لا اراها».

وربتت العمة ايفي على يد جيني وقالت بابتسامة مصطنعة:

«اظن ان بامكانك رؤيتها. كان ابي رجلاً صلباً ومن الطراز القديم خصوصاً فيما يتعلق بارائه عن النساء. ولكن انغو يتحلى بصفات لم تكن لدى جده او والده».

«لا تطلعيها عليها يا ايفي. دعيها تكتشفها بنفسها».

«قد يكون هذا افضل الحلول. والآن اعذراني سابدأ قراءة احد الكتب الجديدة التي احضرتها جيني لي. انني مولعة بقصص ماري ستوارت الغرامية».

«هذا شيء طبيعي بالنسبة الى المرأة. اين سننتهي بدون قصص الحب».

قال انغو وهو يعانق عمته بحنان واضاف: «لا تقلقي بشأن فليك. فهي دائماً تخرج سالمة في النهاية».

«انني لست قلقة كثيراً على فليسيتي بل على هذه الطفلة هنا».

«اني اعدك بأني سأهتم بها».

«انا اعرف ذلك».

قالت العمة ايفلين وقد علت وجهها ابتسامة حلوة وهي ترفع رأسها التي خطه الشعر الفضي.

وردت جيني وهي تراقب المشهد بشعور من الكآبة:

«مسكينة عمتي ايفي».
وقال انغو وهو يهز رأسه:
«اني لا اشعر بالأسف تجاهها. على العكس كنت رثيت لحال زوجها».
«يا له من كلام بغيض».
«يا عزيزتي، الآن اصبحت ايفي لينة العريكة ولكنها في صباها كانت انسانة متوحشة ومتغطرسة».
«وكيف تكون غير ذلك وقد نشأت على تلك الطريقة؟».
«حسناً، لقد عاش كل واحد منا على طريقته. انظري الى نفسك».
وردت جيني بسخرية:
«اجل انظر الي».
«لقد عانيت كثيراً طوال هذه الأمسية».
«كنت تتجنب النظر الي».
«الواقع اني استلطف طلعتك الارستوقراطية وهي تتلاءم جيداً مع تقاطيع وجهك».
«كفى مهاترات».
«الم يحدثك ديف عن هذه الأمور؟».
«على العكس، اننا لا نتحدث في امور كهذه».
«انك تثيرين قلقي. ارجوك حدثيني بمزيد من التفاصيل عن تلك التصرفات الخارقة».
كان انغو مسترخياً في كرسيه واحدى يديه تستند الى الطاولة بينما كان يمسك بالاخرى كأس عصير الفاكهة. وكان صوته خشناً تغلغل الى اعماق جيني واثار حفيظتها. فقالت بشيء من الغضب:
«انك لن تفسر علاقتي هذه المرة».
«علاقتك؟».
قال انغو بسرعة ونهض من مكانه واجتذب جيني اليه.
وشعرت جيني بدوار خفيف وهي تقترب منه وقد كاد وجهه الأسمر الحالك بابتسامته الساخرة يلامس وجهها. وبحركة عفوية اخذت جيني تضرب انغو ضربات متواصلة بيدها الطليقة محاولة الافلات منه وقد شدد قبضته عليها واصبحت اسيرة بين يديه كلعبة صغيرة. وكان عليها ان

تستجمع قواها وتكيل له الضربات وهي تصرخ في وجهه وتغرس اظافرها في جلده:
«دعني اذهب».
«واذا اردت ان اعاملك معاملة لطيفة فهذه ليست الطريقة الصحيحة».
«انك... انك...».
«اكملي. يا جيني».
«دعني اذهب يا انغو».
صرخت جيني وقد تقطعت انفاسها ومالت برأسها الى الوراء وحدقت بعيني انغو. كانتا تتلألأن بوميض فضي اثار احساساتها وشعرت على الفور باضطراب لا يقاوم فتمتمت قائلة:
«ارجوك دعني اذهب».
لم تكن جيني تتوقع مواجهة مثل هذه الحيوية والقوة العنيدة وقد تلاشت رغبتها في التحدي. وسط هذا الجو المشحون بألسنة من البريق والاثارة. فشعرت بقشعريرة ناعمة تغزو كيانها فاستسلمت كطفلة صغيرة بين يديه.
وقال انغو بنعومة:
«مِمَّ انت تخافين؟ لقد ابتلت خصلات شعرك بالعرق».
وتمتمت جيني:
«هل خدشتك؟ اني متأسفة، لم اقصد ايذاءك».
«دعبك من هذه المجاملات. تذكري انا انغو الأسود».
«ولكني احبك كثيراً. على الأقل عندما كنت طفلة. ولكن شيئاً ما حدث بيننا. ارجوك دعني ارى يدك».
قال انغو بخشونة:
«اغربي عن وجهي».
«انك لا تطاق. فانت تضايقني باستمرار. اتعتقد بأني قادرة على تحمل كل ذلك؟».
«تحمل ذلك. يا الهي لم تمض سوى بضع ساعات على وصولك وها انت تثيرين غضبي».
«وانت قاس جداً معي».

«انت هي المبتدئة في اغاظتي».
«اني اقر بذلك. اني اتساءل لماذا تريدني في تاندارو؟».
«لست متأكداً بعد اليوم».
وتنفست جيني بعمق كطفلة متألمة بين يدي من تحب وتمنت لو ان تطول هذه اللحظات السعيدة وهي تسمع دقات قلبها تتسارع في صدرها. فهي تشعر بشكل لا يقبل الشك بالراحة والأمان بين ذراعيه.
وقطع انغو حبل تأملاتها وقال وهو ينظر اليها:
«ما هذا؟ أهو نوع من المكافأة؟».
«ليس عليك ان تذكرني».
«اكاد لا اصدق. لم تكوني بهذا التحول في يوم من الايام. ماذا سيقول ديف لو رآك الآن في هذا الوضع؟».
«ماذا تعني؟».
وافترت شفتاه عن ابتسامة حلوة وقال وهو يبعدها عنه:
«اعذريني يا جيانينا. سنكمل هذا الحديث في وقت لاحق ربما في سنة او سنتين. ان الليل جميل للغاية ونحن في الداخل. هل ترغبين بنزهة قصيرة على صهوة الحصان؟».
«نركب الحصان الآن؟».
«اجل هذا ما قلته. هلمي يا جيانينا، دعينا نخرج من هذا الركود».
واختفت علامات القلق من وجه جيني وحل محلها شعور بالسعادة انعكس لتوه في بريق عينيها وقالت بنشوة:
«يا لها من فكرة رائعة».
«انها الطريقة الوحيدة التي أفكر فيها عندما أرغب في أن انجو بجلدي».
«والى أين سنذهب؟».
«لا تقلقي، لن أجرك الى الغابة».
ولمست جيني الخدش على يد انغو برفق وقالت:
«انا آسفة».
«سوف آخذ بثاري. لا تقلقي. فأنا لا أرحم. انك قابلة للعطب».
«الا تعتقد ان علينا ان ننتظر فليك هنا؟».

وقطب انغو حاجبيه وقال:
«بامكان فليك الاعتناء بنفسها على ما اظن. ولا تنسي ان دان رجل نبيل ومهذب».
«هذا رائع لو ان ما تقوله صحيح».
«انه صحيح. ونحن النبلاء قلة في هذه الايام».
«يا لك من مغرور أيها الجميل».
قالت جيني بنشوة وهي تدور حول الغرفة كمراهقة صغيرة وقالت لانغو:
«امهلني خمس دقائق فقط وسأكون جاهزة».
«كنت اعتقد انني اعطيتك العمر كله».
«اهذا صحيح؟ لهذا السبب عليّ ان اهرب ولو مؤقتاً من سيطرتك. افهمت؟».
«كلا. وهذا يناسبك احياناً ان تتجاهلي سيطرتي».
«انا متأكدة انه هروب مؤقت يا انغو».
«واذا لم يكن مؤقتاً فانا على استعداد لابدّد افكارك المشوشة في دقائق معدودة».
وتسمّرت جيني فجأة في مكانها على بعد خطوات من انغو وحدقت في عينيه وقالت:
«كلا عليّ ان ابدد الشكوك بنفسي حتى ولو جهلت السبب. ارجوك امسح خدشك، انه يبدو خبيثاً».
«اعدك بأني سافعل ذلك في غضون يومين او ثلاثة. امّا الآن فاني ساتركه على حاله لكي تعتني به. انه يؤلمني كثيراً».
«كان بامكانه ان يكون اسوأ من ذلك».
«من كل النواحي».
«هذه ليست المرة الاولى التي أخدشك فيها».
«هذا صحيح. كنت في الرابعة عشرة من عمرك وكنت كقنفذ مخيف. اعتقد انّ على زوج المستقبل ان يكون بطلاً في المصارعة وحاملاً الزنار الاسود».
«عليك انْ تخبره عن طراز العائلة التي ورط نفسه فيها».

«وانه يعرفه منذ زمن طويل».

كان انغو يراقبها وهو مستغرق كلياً في افكاره ولكنها حولت نظراتها عنه بعفوية كأنها تحاول الافلات من جاذبيته وقالت بالحاح:

«أين أنت يا فليك. لا اظن بانا سنذهب ناحية سبيريت هيل».

«اوه يا جانينا، متى ستكبرين؟».

«بدت كلماتك وكأنها توسل».

«لقد جربت كل شيء خطر في بالي. واذا لم تكوني جاهزة بعد عشر دقائق في الاسطبل، فسأذهب بدونك».

«لقد اعتدت على تهديداتك».

«وأنا ايضاً معتاد على تقلبات مزاجك. انت طفلة نزوية وعليك ان تدخلي مخالبك قبل الذهاب».

«ساحضر معي بعض الكريما».

قالت جيني قبل ان تختفي وراء الباب المصنوع من خشب الارز السميك.

ونظر انغو الى خدشه وقال:

«من الافضل معاينة هذا الجرح اللعين».

كانت سماء الليل جميلة وهي مرصعة بملايين اللآلىء المبعثرة في ارجاء قبتها السوداء الارجوانية، بعضها يخبو من بعيد والبعض الآخر ويعد بالآلاف يشع بنور ساطع ينتشر فوق الهضاب الرملية وقنوات المياه وسلسلة الصخور الحديدية والارض الابدية موطن اقدم القبائل على سطح الارض. وكان الهواء دافئاً مشبعاً بعطور زهور البورونيا والزيزفون البري والزنبق الغريب الذي ينمو في باقات متلاصقة بين قصب النهر، وفوقها مباشرة كانت نجمة الجنوب تبسط نورها الساطع على صفحة الاديم.

كانت انظار جيني مشدوهة الى الروعة السرمدية. ولا عجب في ذلك فتاندارو منذ عرفتها كانت تسحرها بجمالها. وقالت جيني في نفسها لو اني بلغت قمة الهضبة لامكنني قطف نجمة بعيدة المنال، نجمة لؤلؤية في غاية الكمال. وكانت الريح النقية تعصف بشعرها كالسياط وتغمرها بنشوة حالمة. انها سنوات تاندارو التي عاشتها في ربوعها. ويبدو ان تألق النجوم الرائع قد سحرها لدرجة انها غابت في لجج ذلك العالم الخلاب، العالم

الذي عرفته طوال سنوات طفولتها.

وجاء صوت انغو يهزها في نشوتها وهو يصيح:

«سوف نتسابق حتى كومة الاشجار تلك».

وقبل ان يسمع جواب جيني، وخز حصانها الذي انطلق كالبرق في اتجاه الاجمة. وشدت جيني لجام المهر وقد بلغت الاشجار وتطلعت حولها ونادت باعلى صوتها:

«انغو اين انت؟».

كان السكوت يلف المكان تقطعه همسات النسيم التي كانت تهب عليها وقد امتلأ قلبها بذلك النوع من الاضطراب البدائي المصحوب بوقع مسعور يتدفق في شرايينها. لم يكن من المعقول ان يكون انغو وراءها. شعرت بالقلق وادارت رأسها مراراً في كل الاتجاهات لعلها تخترق حلكة الليل وهي تصرخ:

«اين انت يا انغو بحق السماء؟ لقد فزت عليك وانت لا تتحمل الهزيمة».

كان صوتها الصافي يرتعش قليلاً في رهبة سواد الليل. وفجأة لامستها حشرة عابرة فحاولت ضربها مجفلة بذلك المهر ونادت باعلى صوتها «انغو».

«هل اضعت احداً».

كان انغو يقف الى جانبها على قدميه فمد ذراعيه ورفعها من على السرج ووضعها على الارض قائلا:

«لا تخدعي نفسك يا صغيرتي، لا يمكنك الفوز بكل شيء».

«اني اعد نفسي بذلك».

«هذا امر ظاهر. لننزل الى قرب الماء حيث سنجد بعض الرطوبة المنعشة».

«بعد هذا السباق المجنون انا احبذ السباحة الآن».

«ورد انغو بخشونة:

«لن اجاريك الى ذلك الحد. انه امر مثير».

«حسناً ولكن لا تنسي كم من مرة رششتك بالماء».

«ما من شيء يبقى على حاله حتى سيطرتي الذاتية لها حدود».

«كنت في الماضي ملاذي الوحيد».

«وكنت ايضاً فتاة ناعمة للغاية كالملاك. وقد تحولت فجأة عندما بلغت الثالثة عشرة او الرابعة عشرة، لست متأكداً، وبدأ بغضك لي».

«كلا».

«بل أجل».

«يبدو أن الامر يزعجك وما من شيء كان يزعجك من قبل».

«ايتها الحمقاء».

وكانت البحيرة تبدو صافية وعميقة فصرخت جيني بابتهاج:

«الا تبدو مغرية؟».

«كفى يا جيني سنكتفي بالجلوس على ضفتها».

وجلس انغو على الارض واسند ظهره الى جذع شجرة نحيلة كستها البراعم الصفراء التي كانت تفوح برائحة الليمون وجذب اليه جيني واسند رأسها على ركبته والتقط بعض الحصى واخذ يرميها على صفحة الماء الفضية برشاقة وبراعة. وقالت جيني باسترخاء:

«انها طريقة حاذقة لا بدّ انك تمرنت عليها».

«الشيء الوحيد الذي لا استطيع تلقينك اياه هو طريقة الرمي. النساء يخطئن دائماً الهدف».

«ومع ذلك يحظين دائماً بمبتغاهن».

«اتظنين باني لا اعرف ذلك؟».

«انه مكان جميل ومفعم بالذكريات. انسيت كيف كان الطائر الناقوسي يأتي ويعشعش هنا».

«لقد ذهب الآن الى مكان أبعد واصبح يعشعش مع طيور البجع».

وقالت جيني وهي تحدق بالنجوم المتلألئة:

«اشعر بأني استطيع ان اكون اسيرة هذا المكان الى الابد. اصغ الى خرير المياه المنسابة فوق الحصى. انها موسيقى خالدة، والى همسات الريح وهمهمات النجوم. انها امور لا نحسها في المدينة حيث نفتقر الى هذا الاتصال الرائع مع الطبيعة. اني اعشق الطريقة التي تنحني فيها اشجار الصفصاف نحو بركة الماء. الا تعتقد يا انغو ان هذا المكان هو مرتع لحوريات البحيرة؟».

«الحورية التي تحولت الى طائر بلون الثلج كما تقول الاسطورة. ويمكن

رؤيتها في بعض الليالي وهي ترقص على هذه الضفاف».

وسألت جيني:

«هل رأيتها مرة؟».

«بالطبع لا وهذا أمر محزن. لقد رأيت دوائر الاولاد ترتسم على سطح المياه وهم يحلمون في رؤية طيف الحورية الراقصة».

«هذا امر مثير للاهتمام. اتساءل كيف حال فليك الآن؟».

«على الارجح اصبح دان الآن أسير هواها. لا تنسي ان سحر المرأة لا يقاوم حتى في سكاي بيبل».

«عجيب امر فليك ان الاحداث لا تصل الى اعماقها. مسكين هوغي لم يمض على وفاته سوى عام واحد».

«انها مدة طويلة، بالطبع انك لا تودين سماع تعليقاتي يا جيانينا؟ عندي قناعة تامة انك لا تتحملين اي انتقاد لفليك مهما كان طفيفاً».

وردّت جيني وقد تلألأ وجهها:

«اني لا انتقد. كانت مجرد ملاحظات ابديتها لك. ومع ذلك فاني لا زلت استغرب كيف ان الامور لا تترك آثارها عليها».

«في الوقت الذي تترك تلك الامور اثاراً عميقة في نفسك. ليس بامكاننا عمل شيء بالنسبة الى فليك. انها حلوة للغاية ومحببة لكنها لا تزال تتصرف كالمراهقات».

واحتجت جيني بسرعة وقالت:

«لا تقل ذلك يا انغو».

«لست بحاجة لاقناعك يا جيانينا. انت تعرفين ذلك. ولكن دعينا من هذا الموضوع هذه هي المرة الاولى التي استكين فيها الى هذا التناغم بيننا».

«احقاً ما تقول؟ اذن دعنا نتعانق كرمز للمحبة».

«يا لها من فكرة رائعة».

«كنت امزح. لم نفعل اي شيء من هذا القبيل في الماضي».

«ماذا؟».

«اعني المعانقة وما شابه ذلك. انت لا تستسيغ هذه الامور».

«سيكون الامر مسلياً اذا كان صحيحاً».

«حسناً انت تدرك ما اعنيه. اني لا اتحدث عن سالي او اي فتاة اخرى

بل التحدث عنا نحن الاثنين».

«بدأت تثيرين قلقي. لربما الحقت فليك بك ضرراً اكثر مما كنت اتصوره».

«على ذكر فليك. انت تعانقها كلما رأيتها، هيّا عاملني مثلها».

ورد انغو بابتسامة:

«من السهل معانقة فليك».

«اما انا فاني اشبه «المدوزة» التي تتدلى الافاعي من رأسها».

«دعيني أرى».

قال انغو ومدّ يده الى خصلات شعرها الحريري وقال:

«انه لا يزال بالنعومة نفسها».

«لنترك الأمور على ما هي الآن».

«قلت انك بحاجة الى مزيد من العناية والتثقيف. وقد اقوم بهذه المهمة بنفسي. اتعتقدين ان ديف سيغار من ذلك؟».

«انك سادي».

«اني ارفض هذا الرأي. انت تنعتيني بأقبح النعوت».

«وانا لا اقبل ان اكون أضحوكة».

«وانا لا اسخر منك وكذلك انت».

«بدأت اشعر اني اخطأت بقدومي».

«لقد فات الاوان للتراجع الآن». قال انغو وهو يحدق بجيني وقد انتابها شعور من الارتباك. وتابع قائلا: «أكاد ألمس حرارة وجنتيك الملتهبتين».

«ان دمي يغلي بسهولة».

«هذا يضعنا في الخندق نفسه».

«انت تنسى اني معتادة على نزواتك».

«هل انت حقاً؟ لم تكوني واثقة من ترحيبي بمجيئك. هذا كل ما تعرفينه عني».

«اني اعرف انك تفعل امقت الاشياء واقلها توقعاً».

«كلا على الاطلاق، ربما كان هذا في الماضي امّا الآن فاني متعب من هذه المساخر».

وصرخت جيني في وجهه:

«اياك ان تجعلني مختبراً لتجاربك».

«حتى انت يا جيانينا تعرفين متى يأتي دورك».

«ارجوك يا انغو. انني أعتذر عمّا بدر مني. اعتذر عن كل شيء حتى الأمور التي لا اذكرها».

«انا اذكرها ولكني اتقبل اعتذارك. والمشكلة يا جيانينا هو انك لا تستطيعين وقف عجلة الحياة. وفي الواقع ليس لاحد اي خيار في الموضوع ولا مفر له من القدر».

وبدون انذار اجتذب انغو رأس جيني اليه وهي تقاومه بكل قواها وقد تبعثرت خصلات شعرها في كل اتجاه وبرقت عيناها السوداوان وقالت بصوت يرتعش من الغضب:

«انك ستندم».

وضحك انغو وهو يتخيل ردة فعل جيني وقد سمرها في مكانها ثم انحنى على وجهها وطبع عليه قبلة اخوية. ومع ذلك شعرت جيني بقشعريرة دافئة تغمر كيانها. الم يكن انغو يلعب معها لعبة القط والفأر؟ ونسيت جيني عداءها القديم وايقنت انه لا يوجد شخص في العالم يضاهي انغو في اثارة الحالات النفسية العنيفة وكأنه يتلذذ في مشاهدتها.

وحاولت جيني الافلات من قبضة انغو الحديدية وقد عادت اليها طبيعتها المشاكسة متجاهلة جمال النجوم ونداءات الليل المتناهية الى اذانها. وسمعت صوت انغو يقول:

«وانت لا تعرفين ماذا تريدين».

«انت تعتقد بأنك قادر على الحصول على كل شيء ترغب فيه».

«اني افعل ما نصبو اليه كلانا».

ومال انغو بوجهه اليها من جديد وهو يشد احكام ذراعيه حولها ويكاد يقطع انفاسها ويسمع دقات قلبها بوضوح في سكون الليل.

لقد غاب كل شيء امامها وغمرتها نشوة عارمة تغلغلت الى اعماقها كسياط لاسعة. واختفت كل المشاعر الاخرى وبدت الاشياء وكأنها مصنوعة من الخيال.

«شكراً يا الهي».

«المعذرة يا صغيرتي. من الافضل الاّ نبقى في هذا المكان».

«ولماذا؟ هذا افضل مكان لسماع الطبول تقرع في اعماقنا وتنقلنا الى عالم آخر».

«احساساتي نحوك لا تعرف الحدود».

«قد اكون آخر انسان يدرك ذلك. قل لي ايها الجبار كيف ستعمل على التغلب على هذه الكارثة الجديدة؟».

«الطريقة سهلة للغاية لنترك الامور الى الغد فالنهار يساعد على اجلاء الخوافي».

«اني لا اصدق ما حدث بيننا واكاد لا اشعر بكياني».

«اني افهم هذا الاحساس تماماً».

«ها انت تعود الى وقاحتك واهانتك».

وتمتم انغو ببرودة:

«لا اعتقد انها المرة الأولى التي يضمك انسان الى صدره».

«كانت هذه اسعد اوقات حياتي. وقد اعود مرة ثانية الى هذا المكان».

«لا استطيع ان اعدك بشيء فلديّ اعمال كثيرة. ولن اقبل بان تقف فتاة صغيرة بيني وبين تاندارو».

واسترسلت جيني في نظراتها الى النجوم المبعثرة فوق رأسها وشعرت ان سحر الهنيهات القليلة الماضية قد ولى وعادا الى حالتهما القديمة فقالت بأسى:

«هل هذه هي الطريقة لمعاملتي بعد ما حدث بيننا؟».

«اني اتساءل لماذا انتظرت كل هذا الوقت؟ واتساءل هل ستتحسنين في المستقبل وهل ستتصرفين مع غيري بالطريقة التي تصرفت فيها هذه الليلة؟».

«لنفترض اني اكدت لك ذلك».

«اذن لكنت لقنتك درساً لن تنسيه مدى الحياة».

«وانا كنت فضلت الموت على معاملتك الخشنة».

ووضع انغو راحته على وجه جيني وقال:

«هل ستقضين الليل بطوله وانت تنوحين؟ كان دافعي من انبل الدوافع وهو اكمال ثقافتك. وهل هناك انبل من هذا؟».

«شكراً لك ولكني لم اكن اشكو من نقص من قبل».

«يا لك من ماكرة». ومرر يده على وجهها بنعومة وقال: «يا لها من تقاطيع جميلة. انها تكاد تصعقني».

«ربما كان الامر متبادلاً، وهو شيء غريب في الواقع».

«مع الأسف لا اشعر بمعاودة المشهد».

«انني لست من النوع المدمن. ولكن علي ان اعترف ان عاطفتك ملأتني بالنشوة. كانت تجربة شيقة».

«سوف أعمل على ابقاء هذا الشعور حيّاً».

«اذن ساعدني على النهوض».

«بكل تأكيد، لا تظني باننا سنقضي الليل كله هنا».

واعلنت جيني وكأنها تأخذ بثأرها:

«ديف قادم في الاسبوع المقبل. وانا لا اطيق الانتظار».

«انا واثق من انه سيلمس تحسناً في اساليبك».

«هذا شأني انا».

«بامكانك ان تشكريني على الاقل».

«انا لن اقع في ذلك الفخ بعد الآن. قد تظن ان بامكانك رفع الامور خطوة اخرى الى الامام. انه امر يدعو الى السخرية».

«ماذا؟».

«العقبات. انسان جبار مثلك يملك اسماً طناناً وشخصية ووجاهة وطموحات يصبح كل شيء بين يديه ملكاً خاصاً بعائلة فولكنر».

«لا يمكن ان تكوني جادة يا جانينا».

«وانت هل بامكانك ان تكون جاداً؟».

«ربما لا اريد ان اكشف لك كم انا متعلق بك، فانت لا تزالين صغيرة وتذهبين الى المدرسة فضلاً عن انك قريبتي الى حد ما. وانت لا تجهلين ثرثرة الناس».

«ما من احد يثرثر مثلك. ليتك لم تقترب مني».

ورد انغو بجدية:

«هذا آخر شيء قد افعله». واضاف: «هل يجيد ديف ركوب الخيل؟».

«انه محترف».

«سألتك هل يمتطي الخيل؟».

«في الواقع كلا. انه طبيب محترف».

«لن اعير هذا النقص اهتماماً. بامكانك ان تعطيه بعض الدروس مع العلم ان الامر قد يتحوّل الى عملية انتحار بحسب رأيي. ربما تفضلين ان اقوم بالمهمة عوضاً عنك».

وردت جيني بعصبية وهي تتجه نحو فرسها:

«من الآن وصاعداً ساعمل على تجاهلك».

«قد تكون هذه افضل طريقة. هل يملك ديف مالاً؟».

«كيف تريدني ان اعرف. اني لم اسأله ذلك».

ووقفت جيني بالقرب من جوادها في الوقت الذي كان انغو يحاول اللحاق بها وهو يقول:

«لا استطيع فهمك يا جيانينا. لقد عشت حتى الآن حياة رغيدة. اتبعي نصيحتي وتحققي من امر ديف قبل الاقدام على اي شيء. ربما كان عاجزا عن اعالتك بالطريقة التي نشأت عليها».

«هوغي لم يكن غنياً. كان من الطبقة الوسطى. بالطبع فليك تملك ثروة خاصة ولكني لن افتقر الى شيء مع ان حياتنا لن تكون مثل الحياة في تاندارو. وكما تعلم كل شيء باهظ الثمن في هذه الايام حتى بناء منزل يزعزع ميزانية اي رجل ثري».

«كل شيء يأتي في وقته. اني مسرور انك دعوت ديف. على الاقل ستتاح لي فرصة لاعاملك كقريب في هذا البلد. اعتقد ان لك عشرات الاقارب في ايطاليا بدون الاشارة الى انصاف الاشقاء والشقيقات. كان كارلو في عنفوان الشباب عندما هجرته فليك. وسأرى عمّا اذا كان ديف يناسبك. اجل انه يعرفك على حقيقتك. وهذا امر يخيف معظم الرجال».

«الاطباء لا يعرفون الخوف بسهولة».

«هذا صحيح الى حد ما. ولكن لا تنسي انهم لا يفكرون الا بطفرات الجلد والحساسيات. بحق السماء لماذا تلحّين على الزواج من رجل غير رومنطيقي».

«انه رومنطيقي ما فيه الكفاية. انت الذي يجب ان تشعر بالخجل من نفسك».

«اني لا اشعر بالخجل».

«اذن عليك ان تشعر».

«وما من احد يريد نصب شرك مريع لك يا جيانينا».

«اعتقد انك على حق. ولكن لا تنتظر مني أن أردّد هذا الاعتراف غداً عند الصباح».

«اتفقنا، حتى اني لن اتذكر شيئاً مما حدث وسارافق دان في نزهة حول المزرعة على دراجة نارية».

وضحكت جيني ضحكة تشوبها نبرة حزينة ونظرت الى انغو وقد مال برأسه المتعجرف الداكن اليها وارتسمت على شفتيه الجذابتين ابتسامة ساخرة وقالت:

«ايها العازب الابدي. لا تظن اني سامعن في تهديدك يا انغو فولكنر. بالنسبة الي يمكنك البقاء عازباً الى الابد لا تسمح لاي شخص بالاقتراب منك».

«هذا قول مضحك. هل ستتهميني بأني استغليتك الليلة؟».

«كلا. سنكتفي بالوقائع».

«ها انت فتاتي من جديد».

«لا تسترسل في اوهامك. اني اعتبر نفسي فتاة مستقلة تماماً كما تعتبر نفسك رجلاً مستقلاً».

«هل هذا كل شيء يا صاحبة الوجه الزهري. هل نسيت شعورك وانت بين ذراعي؟».

«لا تتوقع ان اعود اليهما من جديد».

«وما هو الخطب؟».

قال انغو وقد برقت عيناه في ظلمة الليل كعيني هرة.

ووضعت جيني راحتها على حاجبها وقالت:

«اني اشعر بالغرابة واكاد لا اتمالك دموعي».

«انك لا تبكين الا في حالات الغضب».

«اشعر اني ألامس هذه الحالة».

«ربما بدأت تكتشفين نفسك».

وتأوهت جيني وقالت:

«يا الهي يبدو الأمر شاقاً».

كانت ابتسامة انغو في تلك اللحظة ودية ومسترخية فقال:
«انت هي السبب يا جيانينا. عليك ان تبذلي بعض الجهد».
كانا يخبّان الارض جنباً الى جنب في هدأة الليل المثير وسط السهول المترامية وكانت جيني غارقة في افكارها ونسمات الليل تتلاعب في خصلات شعرها وترسم فوقها هالة من النور. واقترب انغو منها وأخذ يحدق في عينيها، وسألها:
«بماذا تفكرين يا جيني؟».
«لا يمكنك سبر افكاري».
«قولي لي بماذا تفكرين؟».
«اعتقد انك اخطأت في معانقتي».
«احقاً ما تقولين. كنت اعتقد ان الامر لم يكن مريعاً الى هذا الحد».
«اذن انا اتألم لوحدي».
«ومن دفعني الى ذلك في بادىء الامر؟».
«بعد التفكير، الا تعتقد باني انا التي يجب ان تلام؟».
«تماماً يا حواء».
كانت جيني تود لو انها ترى وجه انغو لسبر حقيقة عواطفه ولكن الليل كان حالكاً وكل ما استطاعت ان تراه هو البريق الساحر الذي كان يشع من عينيه. وشعرت بالاسى فرفعت رأسها وقالت:
«لقد خيبت املي كثيراً يا انغو، لا اعتقد ان باستطاعة امرأة ان تغريك».
«ما من احد يجاريك في هذا المجال».
«يا له من انتصار».
«لا تطلعي احداً عليه».
«ولا حتى سالي».
«سيصعقها الأمر».
«اعرف ذلك فلديها مشاريع عديدة بشأنك».
«لن ينفعها الخبر في أي حال».
«اذن لماذا لا تخبرها انت بنفسك».
«اني متأكد انها لن تصغي الي. انت تعرفين النساء».

«كلتانا تعرفك على حقيقتك».
«ماذا تعنين بذلك؟».
«تجاهل الموضوع. يا لك من رجل رهيب. لو لم اكن مغرمة بهذا المكان لما رأيتني هنا. تاندارو هي اجمل بقعة في العالم».
«هذا رأيي ايضاً».
«بقعة جميلة ولكنها تخطف الارواح. لقد قضت على ابيك. وهي تستنفد كل وقتك وطاقتك. انها مترامية الاطراف واعتقد انها ستثير اعصاب ديف».
وسأل انغو:
«وهل هناك سبب لذلك؟».
«سبب؟ انسيت كم انت غني ايها الابله؟ المزرعة والممتلكات الشاسعة. لا اعتقد انك لا ترى ذلك. ولكن من يدري فقد تتعامى عنها. فقد تعوّدت ان تراها كل حياتك وسيفتح ديف فمه دهشة عندما يراها. اني اعرف ذلك لقد وقف مدهوشاً لمجرد سماعه بأسباب الرفاهية التي يتمتع بها آل فولكنر».
«لا اعتقد انه يسعى الى مجاراتها. ومن سمح لك بان تناديني بالابله؟».
«التعابير الاخرى العادية التي استخدمها مع الغير لا تناسبك».
«هذا ما الاحظه. كوني واثقة انك الوحيدة التي تتجرأ وتنعتني بمثل هذه الصفات».
«انه امر طبيعي. وفي الحقيقة انها كلمة لا تنطبق عليك. فديف هو الذي سيظهر بمظهر الابله وهو يفغر فمه دهشة طوال يوم او يومين».
«الامر غير خطير ما دام لم يقع مغمياً عليه. يخيل اليّ انه نشأ في محيط هني».
«هني جداً، هذه هي العظمة واذا كنت تجهل ذلك فلا يمكنني توضيحه. انها ارضك ولا جدال في ذلك».
وانتفض انغو قائلاً:
«انها ولعي».
«هذا صحيح. انك انسان رائع وجبروتك حقيقي».
«ولكني لا اسيء استعماله يا جيانينا».

«تبدو غاضباً».

«كلا. ربما منهمكاً. وانت لست غريبة عن طريقة حياتنا وتعرفين ميكانيكيتها. ومع ان اوامري تنفذ بحذافيرها غير ان كل انسان في المزرعة له مكانته. والسلطة تتطلّب مسؤولية واحياناً كثيرة لا تظفرين بأفضل الصفقات. وعلى الرغم من المناقشات فما من احد يرغب في الواقع في اتخاذ القرارات. هذا هو عملي. واذا كنت رئيساً على الجميع فهذا يتطلب مني ان اكون الرجل المناسب».

وردّت جيني وهي تلقي برأسها على كتف انغو بشيء من الدعابة:

«انت الزعيم ونحن أتباعك يا انغو فولكنر، ولكن أرجوك ان توليني عناية خاصة».

وسألها انغو:

«وما هي اشكال العنايات الاخرى التي اغدقت عليك؟ ولمعلوماتك أيها الملاك أنت فتاة افسدها الدلال».

«هذا غير صحيح».

«من مساوىء النساء أنهن لا يتقبلن الحقائق. ماض عاصف ومستقبل عاصف هذا كل ما أتوقعه لك».

«وهل تتوقّع أن تمتلكني؟».

«قد تكون الطريقة الفضلى».

وانتفضت جيني وقالت بغضب:

«انت مصاب بجنون العظمة. اصغ اليّ جيداً يا انغو. اني اعرف اي نوع من الرجال انت. واني اعرف ان الجميع يقدسون الارض التي تطأها. ولماذا لا يفعلون ذلك؟ فانت تدعم كل انسان في المزرعة حتى آخر الطريق، ولكني اختلف عن الآخرين. وقد يكون لك الحق بان تبسط نفوذك على الاف الاميال ولكن ان شئت ام ابيت فانا لن اصبح ملكاً لك».

«كنت اكثر اقناعاً قبل دقائق. وكنت قد اقسمت باننا خلقنا لبعضنا. لننسى كل شيء ونعود الى المنزل فالأمر يتطلب بعض الوقت».

«ماذا تعني؟».

«تحطيم مقاومتك. ولكن المرء لا يستطيع الحصول على كل شيء. وانا اميل الى الذكاء المتقد حتى ولو كان من الصعب السيطرة عليه».

«اجل، لأنك رجل عنيف للغاية وهذه ليست المرة الاولى التي ألمس ذلك. انك تستحوذ على افكاري. وكل هذه التصرفات الخارجية المنمقة ما هي سوى قشرة سطحية. انت انسان متوحش لا غير».

«عليك بعد ان تكتشفي مدى وحشيتي. وستكتشفينها يوماً وستكون اولى مذاقك للحقيقة...».

«انك لا تخيفني».

«وانا كذلك لن اعير كلامك اي اهتمام. على الاقل ليس الآن وعندما سنعود سأستكين الى نفسي لاني بحاجة الى بعض الهدوء».

«اذن دعنا نعود الى عالمك».

صرخت جيني وقد شعرت بالتوتر يعود اليها. وهمزت جنب الحصان وارخت له العنان فقفز من مكانه يسابق الريح.

٤ - بين خيوط الشمس

كانت جيني على بعد امتار من الزرائب عندما لحق بها دان وتوجها معاً نحو الحقل المسيج وهما يتبادلان اطراف حديث ودي وقد كان قطيع من الماشية ينتظر ساعة الانطلاق. ومع ان الوقت كان باكراً غير ان الجو كان حاراً جداً والسماء صافية مفرطة في الزرقة. وكانت الطيور تغرد كجوقة واحدة على الاغصان المنتشرة فوق رأسيهما، تتناغم مع اشراقة الصباح.

وتعثر دان وهو يتطلع الى قبة السماء فلم تتمالك جيني نفسها من الضحك وتبعها دان ايضاً وهو يمجد الخالق على ذلك الجمال الذي يحيط به قائلاً:

«يا له من جمال باهر. اليس كذلك».

وابتسمت جيني وقالت:

«هذا شعور كل انسان هنا. فهذا المكان مشهور بتجمعات الطيور التي تأتي الى شانيل كانتري لتضع بيضها، وبنوع خاص الطيور المائية. وعندما تمتلىء كل القنوات والمستنقعات تبدأ آلاف الطيور هجرتها. انها طيور رحالة تظهر وتختفي بين ليلة وضحاها ويخلو المكان لأسراب البجع التي تعشش قرب المستنقعات النائية ولا تنحدر الى السهول الا عندما تجف تلك المستنقعات. وهناك ايضاً اسراب لا تحصى من طيور ابو المنجل وابو الملعقة ومالك الحزين والبط الصفار. انها برية ودائمة الحركة تتعايش هي والطيور الصغيرة وطيور الطيب والحساسين والنمنمات التي تتكاثر باعداد كبيرة حتى ان الصقور لا تستطيع ان تأتي عليها مهما فعلت».

وردّ دان:

«اني اتفهم هذا الأمر تماماً. فالمكان أشبه بحرم مقدس».

«انه حرم مقدس».

قالت جيني بجدية وقد غطت وجهها قبعة سوداء عريضة. كان الحر شديداً جافاً ومضنياً وكان السراب يلف البحيرات الضحلة بأشعة فضية عبر البراري المكسوة بالزهور المهدبة.

كان دان منهمكاً في النظر الى كل شيء حوله وكان البعض منه مثيراً للاهتمام. وكان يمطر آذان جيني من وقت الى اخر بنكاته الجافة ولكن المستحبة. وكان عمال المحطة يلقون عليه التحيات الحارة كلما مر بهم ودان يرد عليهم بالمثل وهو يعتبر ذلك دليل صداقة حميمة خاصة بجنس الرجال، وقد جاراهم ديف بلبس بنطلون الجينز وقميص السبور وجزمة عالية والفرق الوحيد الظاهر بينه وبينهم كان القبعة الرائعة الرمادية اللون التي كان يعتمرها. وبعد حوالى خمس عشرة دقيقة من السير في الساحات والزرائب بدت ستيتسون اكثر واقعية وهي مغطاة بتراب احمر ومحمية من جوانبها.

وكانت جيني هي أيضا ترتدي سروالاً من الجينز وقميصاً من القطن ازرق اللون. وعيناها تشعان ببريق مليء بالحيوية واكتست بشرتها لوناً زهرياً ينم على الصحة والعافية. وقال دان في نفسه انها تبدو جذابة وقريبة الى القلب وطافحة بالانوثة. وكان يود لو انه رأى فليسيتي في هذا الوقت المبكر من الصباح. والغريب في الأمر انه كان يود ان يرى فليسيتي بمفردها.

كان يجد صعوبة في فهم هذا الأمر ولكنه كان غير قادر على ابعادها عن افكاره فهي في نظره اكثر النساء اثارة للاهتمام وهي تبدو في عمر الورود.

وسأل دان بنبرة غير مبالية:

«اين السيدة فليسيتي هذا الصباح؟».

وابتسمت جيني وكانت تتوقع السؤال:

«انها تغط في النوم بعد سهرتها المتأخرة امس. وفي اي حال انك لن تجدها في هذا المكان المغطى بالغبار الأحمر والذي يعج بكل هذه الحركة الصاخبة».

وحدق دان بجيني برهة من الزمن وقال:

«انك لا تشبهين امك يا جيني».

«لا اشك في ذلك».

«لم اعد اذكر متى رأيت لآخر مرة امرأتين بجمالكما».

«ولا حتى جمالاً يوازي جمالنا؟».

«ربما على شاشة السينما. لا ابالغ ان قلت ان فليسيتي تبدو كفتاة مراهقة».

«وهي كذلك».

«ارجو ان لا أكون قد ضايقتك ليلة امس. لقد ثرثرت وثرثرت دون توقف».

«ان فليك تحسن الاصغاء الى الآخرين».

«هذا صحيح. انها امرأة متفهمة وجميلة للغاية. غريب! بقائي اعزب كل هذه المدة الطويلة جعلني اخشى رفقة النساء ما عدا رفقة امك. اني اجهل السبب. انها جميلة ومن النوع الذي يعقد لسان الرجل».

«اني متأكدة انك لا تحتاج لأي شيء لاسترعاء انتباه النساء يا دان. انك رجل شيق للغاية».

«المشكلة هي طبيعتي، وعزوبتي اساءت الي كثيراً وقد توفيت عني امي وهي في الثامنة والثمانين وكانت رحمها الله نجمتي المرشدة».

«وهل عاشت معك يا دان؟».

وهز دان رأسه بالايجاب وقال:

«اجل ولم ار امرأة اكثر حكمة منها. كنت ستحبينها يا جيني. كانت تنظر

الي وتقول: «لماذا بحق السماء لا تصطحب معك عروساً الى البيت؟» وكنت اضايقها بقولي باني الشخص الوحيد في العائلة الذي لم يستقر بعد ولم ينشىء عائلة خاصة به. لقد انهمكت كلياً في بناء المزرعة والآن وانا افكر بالموضوع اجد صعوبة في تخيل العائلة بعد ان رحلت عني».

وردت جيني وهي تحاول تخفيف حزنه:

«هون عليك يا دان فالزواج ليس كل شيء. انه معطوب».

«وكيف تعرفين ذلك يا آنسة؟».

«لقد شاهدت حالات عديدة».

واقترب دان من جيني وقال وقد ارتسمت على وجهه علامات الارتباك:

«اذن انت فتاة وحيدة وقد ترعرعت في كنف حياة عائلية سعيدة».

«هذا لا ينطبق على الواقع يا دان. اني اخشى ان اقول لك ان هؤلاء الأولاد هم احياناً اتعسهم. وأسوأ من كل ذلك اشياء كثيرة لم تطلعك فليك عليها».

وقاطعها دان:

«وهل بامكان امرأة جميلة كفليسيتي ان يكون لها اشياء تخفيها؟».

«هذا صحيح يا دان. امر او امران غير عاديين فقط».

وسأل دان مبتسماً:

«وما هي هذه الأشياء على سبيل المثال؟».

«لقد تزوجت فليك ثلاث مرات».

وازداد احمرار وجه دان وحاول جاهداً ابتلاع ريقه وخرجت من صدره حشرجة غير مفهومة.

فكررت جيني قولها:

«اجل يا دان ثلاث مرات».

وتمكن دان في النهاية من تمتمة بضع كلمات وسأل:

«وماذا حل بهؤلاء الثلاثة؟».

«اثنان طلقتهما فليك، الأول والدي، والثالث توفاه الله ولو بقي حياً لربما انهت فليسيتي ايامها معه. هذه هي القصة بكاملها فهل صعقت للمفاجأة؟».

واعترف دان وقال:

«اجل وكلا».

وسألته جيني:

«وهل هذا الأمر سيغير شيئاً من مشاريعك يا دان؟ اعرف انك تجد فليك امرأة جذابة للغاية وبالطبع كانت ستطلعك على حياتها الخاصة في النهاية».

وتمتم دان قائلاً:

«ان زواجاً واحداً كاف بالنسبة الي. عذراً يا جيني لم اقصد جرح شعورك».

«لا تقلق يا دان. قد تفكر باني اتدخل في شؤون لا تعنيني».

«كلا، احسنت فعلاً ففليسيتي لم تقل لي كلمة عن هذه الأمور».

«حسناً يا دان انك في بداية الطريق. ولكن ذروة العلاقات تحصل احياناً في البداية. لقد قلت لك كل هذه الأمور بدافع غريزي. وينتابني شعور بأنك قد تؤثر على حياة فليك وأنا احبها كأعز مخلوق لي في الحياة».

«وكيف مات هوغي؟».

«ميتة طبيعية. وقد حزنت فليك كثيراً. كانت متعلقة به جداً وبكل اخلاص. في الواقع كان وقع المصيبة كبيراً عليها لدرجة ان صحتها تأثرت وانهارت. وقد الح انغو عليها لكي تأتي الى تاندارو للاعتناء بها. وهو دائماً يعتني بها».

«انه رجل نبيل».

«يبدو اني خيبت آمالك يا دان اذ اصبت بخيبة».

«ليس تماماً يا جيني. اني احب كل شيء في امك. ليس بالطبع لكونها تزوجت ثلاث مرات. فالمرأة التي سأتزوجها يجب ان تظل مخلصة للزواج. ولا اخفي عليك انها تغلغلت في افكاري واني اقدر الصراحة والصدق».

«دان اني اؤكد لك ان فليسيتي كانت ستكشف لك هذه الأمور في الوقت المناسب. واذا اطلعتك انا عليها فلاننا نفهم بعضنا واردت ان تكون مهيأ. فليك امرأة مميزة ولكنها بحاجة لمن يعتني بها وهذا ما اقوم به منذ مدة طويلة. ان أحداث حياتها هي أحداث حياتي ولا اريدك ان تجرحها كما اني لا اريدها ان تلحق الاذى بك. وهذا امر ممكن اذا ابقينا السر بيننا. وبامكان فليك ان تكون متسلطة للغاية».

«كالسحر بعينيها الزرقاوين كقبة السماء».

«انها بريتتان».

ورد دان وهو غارق في افكاره.

«ربما لم تلتق الرجل المناسب».

«لقد اتيحت لها فرص عديدة اكثر من اية امرأة اخرى. والغنج هو نمط في حياة فليك. واعتقد انها قد تكون واحدة من حسناوات الجنوب. انها رقيقة وحساسة ولا تبغي من الحياة سوى ان تكون سعيدة».

«اجل انها عزيزة». قال دان بشيء من الليونة والاذعان واضاف: «انها تفتقر الى الصلابة والاستقرار وهذا ما يمكن ان يوفرهما لها الرجل المناسب».

«اذا كان هذا هو شعورك يا دان».

وفي الساحة المعدة لترويض الخيول، كان بيلي سوان مروض الجياد يقف في وسط الساحة يسوق قطيعاً من الخيول البرية. وأسرعت جيني واعتلت السياج المتاخم وسأل دان:

«هل انت بأمان في مكانك يا عزيزتي؟».

«اجل حتى قدوم انغو».

«وأين هو يا ترى؟».

«لا ادري. انغو ينهض مع الطيور».

«وأنا كذلك عندما اكون في مزرعتي، انظري الى ذلك الحصان القائد. يبدو شرساً».

«انه لكذلك».

وحدقت جيني بالحصان الأسود البري المارد بغرته البيضاء وقائمته السوداء وكان يدور بسرعة هائلة محاولاً الافلات من القطيع للانقضاض على بيلي. ولكن بيلي كان يسيطر على تلك القوة المندفعة برباطة جأش رائعة وبانحناءة طبيعية الى الوراء كراقص بارع وهو يستعد لرمي الحبل حول عنق القائد.

وطار الحبل في الهواء ووقع كالطوق على عنق الحصان الذي تنخع وارتد الى الوراء واستمر في دورانه المجنون وقد تعلق بيلي بطرف الحبل المربوط حول يديه. الآن وبعد ان عزل القائد عن قطيعه فإن عملية ترويضه ستبدأ

على الفور بينما اقتيدت الخيول الاخرى الى حظيرة قريبة وهي تصهل بعصبية وتحث قائدها على الصمود ومقاومة قساوة الانسان التي لا تعرف الشفقة. قال دان:

«انه امر محزن، اليس كذلك؟».

«بيلي طيب القلب ولا يقسو على الجياد. انه يحبها. وهذا الحصان البري سيصبح حصان عمل رائعاً يمكن الاعتماد عليه. اعتقد ان كسر عنفوان الحصان امر غير طبيعي ولا عجب في انه يبدو مسعوراً».

«انه سيتعب من حاله الجديد تماماً كأي ولد في المدرسة».

وصاح بعض العمال بصوت واحد: «احذر يا بيلي».

وللحال اتخذ كل من جيني ودان احتياطات اضافية في اللحظة التي رفع الحصان الجبار حوافره بشكل مخيف ولو انها لمست بيلي لكان أوقعه أرضاً ومع ذلك استمر بيلي في الاقتراب من الحصان المذعور وتمكن في النهاية من وضع يده على عنقه الذي كان يتصبب عرقاً واخذ يداعبه ويهون عليه امره بسيل من الكلمات الناعمة كاغنية رقيقة وهي مزيج من الانكليزية واللهجة العامية وبعض التعويذات. وفي هذا الوقت ومن الجانب الآخر، كان مساعد بيلي ويدعى لوفتي يتحرك بهدوء تام كالطيف وبيده لجام وبحركة سريعة كالسحر وضعه حول رقبة الحصان وادخل الشكيمة بين شدقيه. وقال دان بهدوء:

«انها الخطوة الأولى. وسيمضغها الحصان كدمية في فم الطفل».

وهذا ما حدث بالفعل، فعوضاً من ان يثور الحصان او يحاول لفظ قطعة الحديد، تقبلها وبدأ يمضغها بشكل آلي وهو يتلذذ بهذا الاحساس الجديد الى حد ما. واستمر بيلي في مداعبته ودندنة كلماته الناعمة في الوقت الذي عمد لوفتي الى تثبيت السلاسل المقيدة جاعلاً الحصان لا حول له ولا قوة. وما كان ينتهي من عمله حتى حاول الحصان، دون ان يدرك ما حصل له، تحريك قوائمه. وفي لمح البرق تحول كل شيء الى جحيم مسعور.

وانتزعت جيني وشاحها الحريري ولفته حول انفها وفمها حتى بدت وكأنها احد قاطعي الطرق وقد لفها الغبار المتطاير من تحت قوائم الحصان وهو يحاول الوثوب والوقوف وسط صلصلة السلاسل والشرر يتطاير من عينيه والزبد يسيل من شدقيه. وكانت الجياد الأخرى في الاصطبل المجاور

تصهل وتثب بعصبية وترفع قوائمها في الفضاء كانها تشارك زعيمها في ثورته وآلامه.

وقال دان:

«يا له من حصان جبار».

وردت جيني:

«ارجو ان يهدأ».

وكان بيلي ينتظر مثل تلك اللحظة وهو يتكىء بلامبالاة على السياج يدخن. وعندما رأى ان قوى الحصان قد خارت اقترب منه وأخذ يربّت على عنقه بحنان وعطف ويناديه باسماء محببة ثم سحب منه الحبل وضربه على ردفه وارسله عبر باب السياج الذي فتحه لوفتي على الفور الى الساحة المسيجة المجاورة وهو يقول:

«هذا كل شيء لهذا اليوم. ارسل لي الحصان التالي».

وكان دان جالساً على السياج وهو يتمنى لو اتيحت له الفرصة لركوب حصان في ذلك الصباح. ومع انه عاش بين الخيل في مزرعته غير انه لم يقتن جياداً برية قط. وكان بامكانه ان يمتطي الجياد كأي راعي بقر وقد اعتاد عليها منذ ان كان ولداً لذلك سأل جيني فجأة:

«اسألي بيلي هل لديه جواد؟».

«واحد ماذا؟».

«حصان بري. فرس. اشعر برغبة ملحة في امتطاء واحد منها».

ورد بيلي وكأنه سمع طلب دان وقال متهكماً:

«رويدك يا صاح».

«انت فارس ماهر يا بيلي. ولكني لست سيئاً بالدرجة التي تتصورها».

وصاح لوفتي محبّذاً الفكرة وهو يتطلع الى دان فوق السياج:

«وماذا تنتظر بعد يا بيلي؟».

وتوسلت جيني قائلة:

«لا تقدم على اي شيء طائش يا دان».

«اي حصان اخترت يا بيلي؟».

سأل دان وهو لا يكاد يسمع صوت جيني.

«هذه الفرس الصغيرة المنقطة. انها تكاد تغريني على ركوبها».

«ضع سرجاً عليها».
«هل سمعت يا لوفتي ما طلبه صاحبنا. هيا اسرع».
«الا تعتقد من الأفضل انتظار قدوم الريس. حتى يوم امس كانت هذه الفرس برية ككل الاناث».
ورد دان قائلاً وقد سئم من الجدال:
«لماذا الانتظار. انغو لن يعارض. لقد قال لي ان أتصرف هنا كأني في مزرعتي. وانا أقول بأني اريد ركوب هذه الفرس».
«افتح الباب يا لوفتي واحضر تلك الفرس الهادئة القابعة في زاوية الاصطبل».
وتطلع دان الى جيني وعيناه تشعان ببريق غريب بينما كانت جيني جالسة بهدوء وهي تفكر بعواقب المغامرة المحتملة. لم يكن في يدها حيلة ولم يكن بمقدورها ان توقفه عند حده. فالرجال لا يستسيغون تدخل المرأة في شؤونهم ولا يوافقون على حكمتها المتفوقة، فضلاً عن انها لم تكن ترغب في اهانته وفي أي حال فلربما ولد على صهوة جواد وليس بحاجة الى مرشد.
وكان لوفتي في هذا الوقت قد اهتدى الى الفرس فاقتادها وهي تسير وراءه بهدوء وكسل.
وصرخ احد العمال هازئاً:
«انها اخر نزهة للسيد لستر».
وتطلع دان اليه وهو يهز له قبضته دون ان يعرف شيئاً عن لستر المذكور ولكنه تخيل ان مكروهاً ما سيصيبه. وسمع لوفتي يقول:
«لا تأبه له. انها قصة قديمة».
وعلت هتافات العمال كجوقة واحدة. وصرخوا قائلين بعد ان اعتلى دان صهوة الفرس بقفزة واحدة كفارس ماهر: «هيا ارنا براعتك يا راعي البقر».
ووقفت الفرس جامدة في مكانها وقد انتصب فوقها دان بجسمه العريض كأنه يتهيأ لمشهد امام الكاميرا وقد لصق هو أيضاً على السرج.
وقالت جيني في نفسها ان الرجال سخفاء احياناً. ولماذا يبغي دان القيام بهذه المجازفة وهو يفكر بالزواج. وبدأت شفتاها تتحركان دون ان تنبسا بكلمة. كانت الفرس تبدو ماكرة للغاية وشرسة. ومع ذلك وعلى الرغم من توقعات الجميع ظلت ساكنة في مكانها وقد تراكض الى السياج بقية العمال. ولكزها دان قليلاً فانتصبت اذناها وارتدتا الى الوراء وهي الاشارة الوحيدة التي صدرت عنها كدليل على ان شيئاً ما غير مستحب قد حدث.
وقوّى دان ركلته وهو يتوقع خدعة مفاجئة، وفي لمح البصر انطلقت الفرس كبغل واضعة ذنبها بين قائمتيها الخلفيتين وهي تتجه كصاروخ نحو الزاوية الاخرى من السياج.
ومن دون ان تدرك ما كان يحدث امامها وجدت جيني نفسها محمولة على ذراعين قويتين رفعتاها فوق السياج بنبض ظاهر تماما كما كان يحدث في الأزمان الغابرة عندما كان الرجال الأقوياء يمتطون صهوة الجياد المتوحشة.
وفي الطرف الآخر من الزريبة كانت جيني وهي لا تزال في قبضة انغو، تحس بالغضب المكبوت يتطاير من عينيه. وكانت الفرس قد شعرت بالوهن يصيب فارسها فضاعفت من حدة وثباتها واندفاعها المتهور وما لبثت ان رفعت دان في الهواء ورمته يتخبط وسط الغبار الأحمر.
وصرخ انغو بصوت جعل كل من يقف على السور يتراكض مذعوراً:
«اخرجوا هذا الحصان اللعين من هنا».
واستطاعت جيني في هذه اللحظة الافلات من قبضة انغو فركضت نحو السياج وهي ترتعد خوفاً من ان يقع دان تحت حوافر الفرس، وتسلقته وهبطت في الزاوية الاخرى متجاهلة صيحات انغو التي الهبت الجميع فاخذوا يلوحون بايديهم ويصيحون في وجه الفرس لارغامها على الابتعاد والتوجه الى زاوية كان فيها بيلي على استعداد للقيام بأي شيء، فقفز على صهوتها وشد لجامها وقادها بعيداً عن دان.
اما دان فكان في اشد حالات التعاسة والاهانة. كان يئن من الألم وقد تحطمت كرامته والتوت ترقوته ومع ذلك حاول الابتسام لجيني عندما رأى الاسى والقلق يعلوان وجهها الجميل.
ولمست جيني وجنة دان بلطف وسألته:
«اين تشعر بالألم؟ كانت مغامرة رائعة يا دان».
وللمرة الثانية شعرت جيني بذراعي انغو يطوقانها ويحملانها بعيداً ثم رأته يتفحص اطراف دان بيدين ماهرتين وسمعته يقول:
«ليس هناك من كسر».

وحذره دان بقوله:
«اصغ الي جيداً. لم يجبرني احد على هذه المغامرة».
«اعرف ذلك. هل بامكانك ان تقف على رجليك؟».
«بكل تأكيد. امهلني دقيقة لاسترد انفاسي. هل رأيت كيف امتطى على الفرس وابتعد بها؟».
«كان الفرس منهوك القوى».
وتنهد دان وقال بشيء من الاشمئزاز الذاتي:
«لقد تغيرت عما كنت عليه من قبل ولا ادري كيف سأواجه هذا الأمر».
«اعدك بان يبقى الأمر سراً بيننا. كان بالامكان ان تكسر عظم رقبتك. انت محظوظ».
«أؤكد لك ان تلك الفرس كانت تهب وكأنها مسحورة».
وانتقلت عينا دان من انغو الى جيني وبادرها بالقول:
«ارجو ان لا تشعري بالأسى تجاهي يا جيني».
ورد انغو بجفاوة:
«ستشعر بالأسى على نفسها قبل ان تعود الى البيت».
«ولكني على احسن حال. هلا ساعدتني لانهض؟».
«بكل طيبة خاطر».
«ها اني اقف على قدمي».
قال دان وقد شعر بومضة الم.
«هل انت بخير؟».
سألت جيني بقلق.
والتفت انغو اليها وقال لها:
«احضري سيارة الجيب الى هنا، سنضع دان فيها وستجدين المفاتيح في الداخل، هيا تحركي. انت ماهرة في توريط نفسك في المخاطر حتى انك لا تستطيعين الافلات منها».
«حسناً، اني ذاهبة».
واعتذر دان قائلاً:
«انها امور مزعجة لك».
ورد انغو بابتسامة جذابة قلما ترتسم على وجهه:

«اعتقد ان كلينا متعود على مثل هذه الحوادث في نمط حياتنا. اني متكدر لأن الحادث وقع وافسد زيارتك. ومن وجهة نظرنا نحن مسرورون جداً لصحبتك. وقد تتيح هذه السقطة فرصة اطول للاستمتاع برفقتك».
وعلت وجه دان حمرة من الخجل امتدت حتى اذنيه وتمتم بسرور:
«الا تعتقد انك خلقت لتكون دبلوماسياً؟».
وردت جيني بقوة:
«انه عنى ما قاله».
وقال انغو ببرودة:
«شكراً يا جيانينا. لقد تحدثت بلساني. اني على يقين ان فليك تجد جميع حكاياتك عن تكساس مثيرة ورومانطيقية للغاية».
«انها بالفعل رومانطيقية».
وقالت جيني وقد برقت عيناها:
«كم اود ان ارى تلك الأمكنة يوماً يا دان. كل مشاهداتي لا تتعدى الافلام السينمائية، الغزاة الاسبان وجون واين والهنود الحمر والحملات الاسبانية ومربو الماشية وآبار البترول بالاضافة الى الصحراء والجبال، والمكسيك عبر الحدود، ولويزيانا والخليج. وبالمناسبة اشترى انغو لنا حقائب من المخزن الكبير في دالاس كم اود قضاء ساعات طويلة في ذلك المكان، بدون اغفال اوستن وهيدستن والبازو وسان انطونيو وغلن كامبل في غالفستون».
ورد دان واعداً:
«انه في انتظارك هناك. سأريك كل شيء وتكساس تحتوي على كل شيء وليس هناك من مكان افضل من لون ستارستيت، ما عدا تانداراو».
ووافقت جيني على قوله وردت وهي تنحني الى الأمام:
«انت على حق، فلا شيء يضاهي محبة الأوطان».
وشدد دان على القول:
«يشعر المرء انه خائن اذا لم يحس بذلك الشعور» – واضاف وهو يمرر يده على حنكة – «ولا اشعر بكل اضراسي».
وقالت جيني بمزاح:
«ان بضعة اضراس زائدة او ناقصة ليست ذات اهمية».

«الأضراس مهمة يا آنسة جيني، وانا افضل كسر ساقي على فقدان احد اضراسي. انها هامة للغاية وانا لم افقد واحداً منها حتى اليوم».

واقترحت جيني:

«اذن تفقدها الآن اذا كان الأمر يضايقك».

«يا لك من عفريتة يا جيانينا. الا تكفي دان مشاكله دون مضايقاتك؟».

وتمتم دان رغم المه:

«اقسم اني لست منزعجاً من مضايقاتها. وفي الواقع اني استسيغها وكل ما في الأمر اني لا اريد اقلاق فليسيتي، انها امرأة حساسة للغاية».

وقد اعطت اللهجة التي عبر بها دان عن شعوره، فكرة واضحة عن مدى تطور العلاقات مع فليسيتي بسرعة كبيرة. ومع ان انغو وجيني كانا على بينة من اساليب فليك مع الرجال فان سرعة تجاوب دان فاقت كل العلاقات السابقة، خاصة بالنسبة الى مربي بقر عنيد.

وعندما وصلوا الى المنزل كانت فليك بانتظارهم وقد بدا وجهها الجميل مكروباً وهي تحدق بدان وعيناها الزرقاوان لا تفارقانه. فاقتادته الى كرسي ذي ذراعين وغمرته بعنايتها حتى انه بدا من الواضح انها استغنت عن مساعدة الاخرين. ووقف انغو لبرهة من الزمن وهو يراقب حنو فليسيتي المندفع وتجاوب دان له، وقد ارتسمت على وجهه الأدكن ابتسامة ساخرة ومسحة من الضجر لأنه سبق ان رأى مثل هذا المشهد عشرات المرات قبل اليوم. وكان يشعر في قرارة نفسه بالاعجاب لموهبة قريبته التي لا تنضب في انشاء الصداقات. وقد تكون مشاعرها سطحية ولكنها كانت غزيرة تحسدها عليها بقية النساء. وكان الأمر يكون مسلياً لو ان حياة جيني لم تتأثر بنمط حياة امها. وهذا الشعور سلب الابتسامة من شفتيه. وقال بلهجة فيها شيء من الحدة:

«هل بامكاني المساعدة في اي شيء؟ من الأفضل ان اعود الى اعمالي فهناك قطيع يجب سوقه. واذا احتجت الى اي شيء فلا ترددي باعلامي يا فليك. لا بد ان تكون جيني قد اتصلت بالطبيب الجوّال».

«لا تقلق يا عزيزي فأنا ساعتني به».

وتابعت فليسيتي بصوت رقيق وهي تنظر الى دان:

«لو لم تكن قوياً لكنت قلقت عليك. لقد وصلت لتوك وها ان الأمور تسوء. اكمل جرع كوب الماء البارد».

وقبل ان يخرج انغو وصلت جيني من غرفة اللاسلكي وهي تلهث ووقفت وراء انغو وامسكت بذراعه. ووقفت جيني بلا حراك وهي مأخوذة بالمشهد الذي ارتسم امامها بين امها ودان.

«لا بأس يا جيانينا. بامكانك ان تتكلمي».

«الدكتور موراي آت على جناح السرعة».

وسألت جيني انغو متجاهلة امها:

«هل بامكاني التحدث اليك لبرهة وجيزة؟».

«ربما».

«الا تستطيع التصرف بطريقة افضل؟».

«كلا اذا اردت انجاز عمل اليوم. تعالي يا جيانينا ايتها العفريتة الصغيرة».

«هل انت متأكد من انك لا تريد الخلوة بنفسك؟».

وتوسلت فليسيتي قائلة:

«ارجوك يا انغو ابعدها قليلاً».

«اذا كنت مضطراً. لقد شفعت لها خصلات شعرها الناعمة. انا متأكد من انك ستكون بخير يا دان مع فليسيتي حتى يأتي الطبيب، اليس كذلك؟».

ونظرت فليسيتي اليه وقد ادركت تلميحاته وقالت:

«ماذا دهاكما اليوم؟ بكل صراحة احياناً تبدوان متشابهين».

ورفع دان كوب الماء الفارغ وقال وكأنه يشرب نخبهم:

«شكراً على كل شيء يا انغو وانت يا جيني الصغيرة. انا لم اعتد على امرأة تحوم حولي وتهتم بي، ليس مؤخراً في اي حال وليس منذ وفاة والدتي. وفليسيتي تذكرني بها بطريقة رائعة».

«هل تسمعين يا فليك؟».

«اجل وانا مسرورة للغاية».

ورفع انغو يده وقال وابتسامة ساخرة ارتسمت على شفتيه:

«حسناً، علي ان اذهب الآن. سنراكما فيما بعد وسنرى الطائرة لدى

قدومها. ادعي الطبيب للغداء يا فليسيتي اذا لم يكن مرتبطاً بموعد اخر واطلبي من ماغي أن تحضر طعاماً شهياً. ساعود وجيني في حوالى الواحدة والنصف. هل هذا يناسبك؟».

«اجل».

ردت فليسيتي بسرعة وهي تفكر بمقدرتها على تنظيم الأمور. وكان دان على رغم آلامه، يبدو مشرقاً. وقبل ان تتمكن جيني من ابداء اي رأي في الموضوع شعرت بقبضتين قويتين تجرانها الى الخارج ومع ذلك استطاعت ان تقول:

«يا الهي يبدو دان في حالة لا يحسد عليها».

ورد انغو:

«انا لا احسده الا على لونه الوردي».

«انه قول بغيض. ولكن ماذا تعني به؟».

«لا تتجاهلي الأمور يا صغيرتي، فليك ستدرجه على لائحتها الطويلة، ولكن ماذا سيفعل عندما سيكتشف امر كارلو وستوارت وهوغي من دون ذكر الاسماء الاخرى».

وقالت جيني ببساطة:

«لقد اطلعته على كل شيء».

«ماذا؟».

ردد انغو وهو يقبض على ذراعها بشدة وكاد يرفعها عن الأرض.

«لقد سمعت ما قلته».

«هذا عمل طائش، لماذا اقدمت عليه؟».

«انت تعرف فليك. انها متواضعة للغاية حتى انها لا تتحدث عن نفسها».

ورد انغو بانفعال:

«انا اعرف فليك. عقلها لا يزال مادة خاماً وقلبها تستخدمه».

«انك تجرح شعوري يا انغو. كنت اعتقد انك تحب فليك».

«اجل احبها. وكل ما اود، هو تجاهل حياتها العاطفية. ولا تنسي ان دان ضيف عندي ومن افضل زبائني، لذلك فإني لا اريد ان اخسره».

«من يدري فقد تكسب ابن عم جديداً. واحد زائد او ناقص لا يغير شيئاً في الموضوع. خذ اليزابيت تايلور مثلاً فقد تزوجت ست مرات».

وأفلت انغو قبضته عنها وقال بخشونة:

«آمل ان لا تكون فليك تنوي تحطيم رقمها القياسي».

ومد يده الى شعرها ورفع خصلة متدلية واعادها الى الهالة المشعة على راسها. وردت جيني:

«لست مضطراً لتذليل مشاكلي. خصوصاً ان المشاكل العاطفية محببة الى القلب. ولماذا تعتقد اني قلقة بشأن فليك؟ انها امرأة راشدة رغم ان احداً لا يتخيل انها امي. واذا هي ارادت ان تربط حياتها بحياة دان وتطير معه الى تكساس فلماذا اهتم بالموضوع؟».

وسأل انغو ساخرا:

«وهل تتزوجين انت ايضاً؟».

«اجل سأتزوج».

«ولماذا هذا الخوف؟ ما رأيك بديف؟ في اي حال لا يمكنك انتهاج طريق فليك فانا لن اسمح لك بذلك».

«اخشى ان تضطر لاقتسامي مع ديف طوال الاسبوعين المقبلين».

«انا لست كريماً الى هذا الحد».

قال انغو وهو يضرب الهواء بيده وامسك بها وحدق في عينيها وقال:

«ان ما هو ملكي يظل ملكي الى الابد».

«لا ادري من اين جئت بهذه الفكرة باني ملك لك».

«اني لم اراهن عليك كل هذه السنوات لكي لا احصل على شيء».

وشدها انغو اليه حتى شعرت ان انفاسها قد تقطعت واحاسيسها تفجرت وحاولت التنفس بصعوبة وهي تأمل في اعماق نفسها ان تطول هذه البرهة.

ورفع انغو رأسها وحدق في وجهها بعينيه الفضيتين وقال:

«لقد عملت على بناء ملاذ هش تحتمين وراءه. ولكن لا تعتمدي عليه كثيراً لحمايتك بعد اليوم. هلمي فلنذهب، فلا يمكننا المكوث هنا ونحن نثرثر. اني لا استطيع مجاراتك وأن اعمل في المزرعة في وقت واحد».

«انك تعاملني من دون اكتراث».

«هذا لن يطول. فقد اصبحت الآن امرأة كاملة امام عيني. ويعلم الله كم انتظرت هذه اللحظة».

وبحركة لطيفة لف ذراعه حول كتفها النحيلة وقادها الى سيارة الجيب وهي لا تنبس بكلمة وكأن مودة خفية لم تكن موجودة من قبل قد لفتهما في تلك اللحظة. وكانت جيني تشعر برغبة جامحة في وضع ذراعيها حول انغو وشده اليها على الرغم من ضخامة كتفيه. وقالت له بعد صمت:

«هل انا جميلة في نظرك يا انغو؟».

«اجل انت جميلة للغاية».

«شكراً لك. أحدنا على الأقل يجب ان يكون صريحاً وانا احاول».

ورفعها انغو كالريشة الى داخل السيارة وهو يطبع قبلة على خدها قائلاً:

«لا تجهدي نفسك في المحاولة».

وسألته على الفور:

«ولم لا؟».

«لا تكوني ساذجة الى هذا الحد يا صغيرتي. فقد اكون مشغوفاً بك الى حد الجنون».

«وهل انت مغرم بي حقاً؟».

«يا الهي، يا له من سؤال».

«يخيل الي ان الجواب لا».

وحدق انغو بها وقال:

«بامكانك تقطيع رجل ارباً ارباً».

«وهذا لن يحدث لك، اليس كذلك؟».

«ان حياتي تدور حول تاندارو. وما هو ملكي اتمسك به ولن افرط به ابداً».

«هل هذا انذار؟».

سألت جيني وعيناها عالقتان بوجهه وقد علت وجنتيها حمرة ظاهرة.

«لا يمكنك تجاهله».

وتوسلت جيني اليه قائلة:

«كلمني يا انغو».

«عن اي موضوع؟».

«عن الواقع.. الطريقة التي تصرفت بها الآن. لماذا لا تضمني الى صدرك؟».

«تلك كانت مناسبة. لننتقل الى موضوع اخر».

«اني اتعلق بمثل تلك المناسبات».

«بالطبع».

«ومع ذلك فانت لا تفتح لي قلبك. الحقيقة اني اجهل الكثير عنك».

«وصلنا الى غايتك. انت تريدينني الآن ان احدثك عن نفسي. يا عزيزتي جيانينا انت لا تقدرين بثمن».

«انا احاول ان اكون لطيفة معك».

ورد انغو بسخرية:

«انك تحطمين قلبي».

«اشك في ان لك قلباً».

«هذا يكفي. من كان يحتضنك عندما كنت تبكين وانت صغيرة؟ ليس قلبك في اي حال».

«لقد كنت تحبني في ذلك الحين. فهل انا تغيرت حقاً؟».

«اجل».

«انت لا تترك لي مجالاً للرد».

«وهذا وعد اذن».

«ادر محرك السيارة يا انغو. اذا مكثت هنا مدة اطول فاني سافقد اعصابي».

«اين قبعتك».

«اني لا ابالي اينما كانت».

«يا حلوتي بشرتك جميلة للغاية».

«هذا اخر شيء تهتم به».

«على العكس. اني اهتم به كثيراً».

والتفت انغو الى الوراء فرأى جيني قابعة في المقعد الخلفي من دون حراك. فالتقط قبعتها المكسيكية العريضة وكبسها على خصلاتها الحريرية التي انسدلت كخيوط فضية من تحت اطراف القبعة وابرزت تقاطيع وجهها الجذاب.

«حسناً، وماذا بعد الآن؟».
«أشعر برغبة ملحة في خطفك الى مكان بعيد وخفي. ولكني سأقاوم هذه الرغبة».
«حسناً تفعل لأني لن اجاريك في رغبتك».
«اهذا هو جوابك؟ الا يمكنك ان تكوني امرأة عوضاً عن طفلة مشاكسة؟».
«ان تاندارو هي كل شيء في حياتك».
«كلنا نعيش من خيراتها».
«انك لا تعيلنا يا انغو. أليس كذلك؟».
«ولماذا يضايقك الأمر الى هذا الحد؟».
«انت تعرف تماماً اني لن اتردد في ايجاد عمل اذا دعت الحاجة».
«وما هو الدافع لذلك؟».
«انك لم تجب على سؤالي. هل انت تعيلنا؟».
«كلا انا لا انفق شيئاً عليكما. فليك لديها اموالها الخاصة واقدم لها بعض المال من وقت الى اخر. وهذه امور معروفة ولا شأن لك بها. فانا احب فليك كثيراً على الرغم من تصرفاتها التي لا احبذها».
وردت جيني بقوة:
«ان الأمر في غاية الأهمية بالنسبة الي».
«فكرتك في ايجاد عمل تبدو سخيفة ومثيرة للشفقة».
«ولكني لن اتردد في الاقدام عليها».
«هذا ما ترددينه على مسامعي. ولكن بما انك فتاة مجتهدة للغاية فسنضطر للالحاح عليك لكي تحصلي على اعلى المستويات العلمية، فزوجة طبيب لا يمكن ان تكون امرأة عادية».
«عندك مقدرة فائقة في اثارة غضبي».
«هل قلت مقدرة في السيطرة عليك؟».
«هذا امر يدفعني الى الحذر واتخاذ موقف الدفاع».
«انها تجربة مفيدة بالنسبة الى شخص اعتاد الحصول على ما يصبو اليه بطرقه الخاصة. وبالمناسبة فهل وضعت برنامجاً لتسلية ديف؟».
«كلا، ليس بشكل خاص. لا تنسَ ان المنزل سيعج بالضيوف. فهناك

تريش والأولاد ثم العزيزة سالي. اني اراهن على انك خططت لكل شيء حتى الآن. ويبدو ان فليك ستلازم دان كظله وتفرش له ايامه بالزهور. لم يعد هناك من مكان شاغر في البيت».
«هذه هي الحال. حتى ايفي طلبت ان كان بامكانها دعوة الليدي ماكسويل العجوز».
وردت جيني بدهشة:
«حقاً ان المنزل سيصبح مزدحماً كامل العدد».
«قد لا تأتي في النهاية وهذا ما استطيع قوله لك».
وقالت جيني بشوق:
«ما رأيك في اقامة حفلة كبيرة ودعوة الجميع؟ بامكاننا فتح قاعة الرقص الكبيرة انها جميلة ولم تستعمل حتى الآن».
«انا المخطىء، فطريقة حياتي حالت دون اقامة اية حفلة راقصة حتى اليوم، واني اتساءل لماذا بنى اجدادي تلك القاعة، لا بد ان في العائلة بعض المهووسين».
«ولم تحترق حتى الآن».
«بامكانك اعادة هذا القول. ولكني اعتقد ان فليك ستعلن خطبتها في وقت قريب».
«لو راودتني هذه الفكرة لاصابني انهيار عصبي».
«من الأفضل الا تفعلي ذلك فقد اضطر لمؤاساتك».
ونظرت جيني الى انغو وقالت وهي تبتسم وقد انسكبت، دون علمها، عاطفتها في بريق عينيها:
«هذا ينهي الموضوع. فما من شيء سيدفعني الى الارتماء بين يديك مرة اخرى».
«بل سترتمين».
«ابتسم لي بمثل هذه الابتسامة وانا اعدك بالارتماء بين ذراعيك».
«ما من شيء يدهشني في تصرفاتك. ففتاة مثلك تستطيع ان تزكي نارها بنفسها».
«وهذا امر سيجلب لي المتاعب».
«يبدو انك تستمتعين بعالمك».

«اني في بحث مستمر عن نفسي».
«انا اعرف ذلك».
«انك عالم بخفايا صدري».
«ربما يا جيني ايتها الفتاة الصغيرة. علي ان اصل الى جانبنا المرأة الناضجة».

وارتعشت جيني للنبرة المداعبة في صوت انغو ولاذت بالصمت. كانت بحاجة الى بعض الوقت للتفكير بالاحاسيس الجياشة التي اثارها في نفسها والتي لم تكن قادرة على السيطرة عليها منذ ان ضمها الى صدره واتاح لها الفرصة لتكتشف عمق مكنونات قلبها. وادركت جيني ان الأمور لن تكون كالسابق، فالآن ولأول مرة شعرت جيني بأن عواطفها تنساب بشكل طبيعي وكانت لسنوات خلت غير قادرة على التحدث الى انغو من دون ان تثور غضباً وحنقاً. ولم يكن انغو لطيفاً او صبوراً معها. حتى فليك كانت تقول انهما لم يخلقا لبعضهما الا في ايام الطفولة التي شهدت سنوات من الهناء والسعادة بينهما. وكان على جيني ان تعترف ان تأثير انغو عليها كان عظيماً. انغو ذلك الرجل المجهول والمعروف في آن. انغو الاخ الكبير، انغو العاشق. وانتابها خوف مفاجىء من فكرة انغو العاشق وتدفق دمها الحار في شرايينها وتغيرت ملامح وجهها دون وعي واصبحت متوترة وتخضبت وجنتاها بالاحمرار الذي انعكس حلكة في عينيها المخمليتين البنيتين.

ونظر انغو اليها وكأنه يقرأ افكارها على صفحة كتاب وقد انتابها ارتباك عميق للأحاسيس التي اكتشفتها في تلك الساعة، ولفها بنظراته الجذابة وابتسامته الرقيقة. كانت جيني تبدو فاتنة وهي تشعر بالخوف يمتلك كيانها.
وقال انغو بخفة:
«لا تفقدي رباطة جأشك».
ورفعت جيني رأسها وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة حلوة وقالت:
«اشعر بهذا الوضع كلما كنت معك».
«انك فتاة مزاجية، علي ان اعترف بهذا. وجميلة للغاية».
«هل هذا صحيح؟».
«دعينا من هذا الموضوع».
قال انغو بتأوه وقد التمعت عيناه الفضيتان ببريق بارد ومشبع

بالسخرية.
واحتجت جيني وقد انتابها غضب ظاهر:
«وماذا في الأمر. هل انقطع الاتصال بيننا؟».
«لم ينقطع ايتها الحمقاء».
«لا بل انقطع».
«دعينا نجرب اذن».
وحدقت جيني به ولكنه بدا جاداً في كل كلمة قالها. وتوجه بالسيارة الى شجرة وارفة على جانب الطريق واطفأ المحرك والتفت نحوها وقد شعت عيناه ببريق غريب انعكس على وجهه الداكن وقال:
«كنت تتحدثين عن الاتصال».
«احقاً؟».
«يخيل الي انك مضطربة الآن».
«هل تظن أني اتوق الى معاودة التجربة؟».
«اني اراهن كلياً».
وهددت جيني قائلة:
«عليك ان تعتذر الآن».
رد انغو بسخرية:
«هذا الأمر يتطلب رجلاً شجاعاً للغاية».
«اليس هذا ما تدعيه؟».
«لماذا اذن تلقبينني بانغو الأسود».
«لم اكن اعرف مدى صحة هذا اللقب. ولكني الآن اعرف تماماً انه اللقب الانسب لك. فانت انغو الأسود».
«لقد اخترت الوقت غير المناسب يا صغيرتي».
«لقد قلت بانك ستعتني بي».
«هذا بالضبط ما سأفعله».
واقترب منها وامسك بذراعيها بقوة وقد صم اذنيه عن سماع توسلاتها وهي تصرخ في وجهه:
«اياك ان تستغلني وكأني حقل لاحدى تجاربك».
وكانت جيني بدأت تشعر باحساس دافىء يغمر كيانها ولكنها وجدت

القوة الكافية لتضيف:

«ان سالي ليست في متناول يدك الآن».

«ومن هي سالي هذه؟».

ومن دون ان تضيع وقتها بالرد عليه جمعت جيني قبضتها وسددت ضربة قوية اليه وهي تقول:

«انغو انك تخيفني».

ولم تكن جيني تبالغ في خوفها وقد رأت شرارات الشهوة تندلع من عينيه وتكاد تلتهمها كهشيم نار ومن دون ان تشعر اخذت الدموع تنهمر من عينيها المذعورتين كعيني ظبية في قبضة صياد.

وكأن سوطاً لذعه واعاده الى الواقع فترك انغو احكام طوقه عن جيني وهدأت العاصفة التي ارتسمت على وجهه وتمتم قائلاً:

«اني ادرك ما تعنيه. لا تخافي يا ملاكي فأنا لن اؤذيك. هذا الفزع الحقيقي الذي اقرأه في عينيك قد اربكني».

وانزلقت جيني في مقعدها وهي تسند وجهها الى كتفه وتقول:

«اني لا اكاد اصدق ما يحدث الآن بعد كل تلك السنوات».

«انك تحبينني وكلانا يعرف ذلك».

وارتدت جيني الى الوراء وحدقت في عينيه وقالت بشدة:

«كلا هذا ليس صحيحاً».

«اذن ما هو هذا الاحساس الذي تشعرين به؟».

«انه استجابة عابرة. انك تنفخ في الرماد، وتكاد تتقطع انفاسي كأني في صميم كارثة او كأني اسير في صحراء قاحلة وقد انهكني التعب. لن تعود الأمور الى سابق عهدها. هذه هي طبيعتي: انني مجرد طفلة صغيرة وانت تسبقني باشواط بعيدة، متأكد من نفسك، مستعد لكل شيء. قد اكون لعبة جديدة بالنسبة اليك. لقد دربت نفسك طوال سنوات وسنوات على التحكم باعصابك بقوة فولاذية. ولكن قف عند هذا الحد واخمد تلك القوة فانت لست بحاجة اليها معي».

«كفى يا جيني لا تضيفي كلمة واحدة اخرى».

«هل من المعقول ان أكون اوجعتك؟».

ومر انغو باصبعه على وجنة جيني وادار وجهها نحوه وقال:

«وهل تعتقدين بأني سأسمح لك بذلك ايتها الساذجة الصغيرة».

«الى متى ستستمر في هذا الحال؟».

«وهل هذا يهمك كثيراً؟».

وبدا صوت انغو ساخراً للغاية فاقتربت جيني منه وداعبت وجنته بنعومة وقالت:

«اصغ الي جيداً يا انغو انك لا تبدو على ما يرام وهذا ما يقلقني».

«وقفي عند هذا الحد. كان بامكانك ان تصبحي ممثلة رائعة. قولي لي بربك كيف يعانقك ديف. بطريقة مماثلة الى حد ما».

«في اي حال انه يعانقني بلطف وحشمة. ليس كما تفعل انت وكأننا نخوض معركة بقاء او احتلال».

وبالطبع لم تقل له انها تفضل معانقاته التي كانت تهز اعماقها.

«يا لها من صورة نابضة بالحياة».

«لو اني تركت لك الحبل على الغارب لانهارت اعصابي».

«مسكينة يا جيانينا. يا له من كابوس مزعج، ان يكون قريبك النذل قد اغواك».

وقالت جيني ببرودة:

«هذه ناحية من الصورة ولا تنسَ انك اكبر مني سناً ولا استطيع مجاراتك».

«وماذا كنت تتوقعين مني ان اقول، وداعاً يا صغيرتي والى المرة القادمة. لم اكن ادري ان علاقتنا محدودة بهذا الشكل».

وعادت جيني الى تحديه فقالت:

«ومن تظن نفسك حتى تكون صاحب الأمر والنهي؟».

«لأني من المحظوظين في هذه الحياة. هذه طبيعتي. وهل تفضلين ان اعاملك مثلما اعامل شاباً صغيراً. المشكلة معك هو انك تريدين الحصول على كل شيء. النساء هن الأمرات المستبدات. ألم تري كيف تعامل خالتي تيد وهي بنصف حجمه ولا تترك له مجالاً لكلمة واحدة».

«ولكنها طباخة ماهرة. وتيد هو الشخص الوحيد الذي تعامله بهذه الطريقة واعتقد انه يستسيغها».

«انها امور من الصعب التسامح بها».

وازاحت جيني قبعتها واسندت رأسها على كتف انغو وقالت:
«ان اوقاتاً كهذه تجعلني لا اتذمر من شيء».
ورد انغو بشيء من السعادة:
«اني ادرك ذلك».
واستطردت جيني وقد غمرتها نشوة عارمة:
«انها من اجمل لحظات حياتنا. انه حلم قلب مقاييسنا رأساً على عقب».
ولم تتمالك نفسها فضغطت على يده وضمته الى صدرها بحركة عفوية وتهادى اليه صوتها الرخيم يقول وهي تحاول تفسير تصرفها المفاجيء:
«انه امر متناقض، اعرف ذلك ولكني لا استطيع مقاومة جاذبيتك. انت جميل للغاية».
«عن اذنك. الرجل لا يحتاج الى الجمال».
«انه جمال يختلف عن غيره. ولكن الجمال لا يتغير».
«اذن مِمّ تخافين أنت؟».
«لا ادري. في اي حال نسيت تصرفاتي السابقة وانا اصبو الآن الى سعادتك».
«اذن سأنال ما اصبو اليه في هذه اللحظة بالذات».
ورفع انغو رأسها اليه ومر بيده على وجهها الناعم وقد شع في عينيه بريق غريب من الرقة. وادركت جيني احاسيس انغو فلم تحاول مقاومته وكأنها تعاني من وطأة الحمى نفسها وشدت نفسها اليه مستجيبة لمعانقاته مندفعة في التيار العاطفي الذي اخذ يجرهما معاً في اسعد لحظات حياتها.
وكانت جيني تدرك في قرارة نفسها ان رجلاً بمثل تسلط انغو لا يقبل بالاشياء العابرة بل يصبو الى امتلاك الشخص الذي يحبه. لذلك استرسلت في عواطفها وهي تردد اسمه دون انقطاع وقد تحولت الدنيا من حولها الى عالم من السحر والخيال. تمتم انغو:
«جيني».
«اني بحاجة كبيرة اليك. ولكنك قاسي الفؤاد».
«ان كنت قاسياً فأنا قاس ايضاً بحق نفسي».
«كم اود ان اسبح بين خيوط الشمس».
«بامكاني ان احقق كل شيء الا هذا الحلم».

«ان اسمك انغو اليس كذلك؟».
«وماذا تعرفين عني؟».
«اني اتعلم بسرعة».
«ولهذا السبب فأنت هنا».
«هل الأرض تدور بنا ام نحن الذين ندور؟».
ورد انغو وهو يداعب خصلات شعرها:
«انت التي تهيمين على وجهك يا عزيزتي».
«تباً لك. ها انت تعود الى تلميحاتك. انا هي الصغيرة الساذجة وانت الرجل القوي».
«هناك اوقات يتوجب على المرء اضرام النار وها انا مقيد باحكام صارمة. وانت يا جيني ملاكي الصغير، والفتاة البريئة على الرغم من مظاهرها».
وردت جيني بنعومة:
«يبدو لي انك ملأت ايامي بأجمل المشاعر».
«بل لنقل انك اجتزت اسوأ ايام المراهقة».
«كفى تعليقات. ما هي مشاريعك لهذا النهار؟».
«اعتقدت انك لن تطرحي هذا السؤال. سارافق سبوك وبقية الرجال لبعض الوقت وبامكانك مرافقتنا».
«يا لها من دعوة شيقة. شكراً لك».
«ضعي القبعة على رأسك».
«سمعاً وطاعة يا سيدي».
قالت جيني وهي تقلد صوت سبوك المرتجف. ونظر انغو اليها وابتسامة مرحة تعلو شفتيه وقد شع من عينيه الفضيتين بريق فيه الكثير من الحب والعاطفة.

٥- المواجهة

الشعور المتبادل بين فليسيتي ودان الذي نما منذ اليوم الاول من لقائهما، استمر عميقاً طوال الاسبوع، واذا كان الامر عادياً بالنسبة الى فليسيتي فانه كان ينطوي على علاقة عاطفية حقيقية وصادقة بالنسبة الى دان. وكان من المفروض، حسب البرنامج الاولي، ان يكون قد عاد الى تكساس منذ ايام. ولكن عوضاً عن ذلك كان ينعم بالحياة في تاندارو برفقة اجمل النساء.

واذا كانت الامور في عيني فليسيتي ودان تسير حسب ما يشتهيانه، الاّ انها من جهة ثانية كانت تثير قلق جيني والعمة ايفلين. قررت جيني مفاتحة امها بالموضوع. واذا قررت جيني التدخّل في الموضوع فذلك بدافع المحبة وهي التي تعودت منذ نعومة أظفارها ان تعمل لما فيه صالح امها.

وعندما رأتها في المساء قبل العشاء كانت فليسيتي منهمكة للغاية في تسريح شعرها الجميل دون ان تكترث لما يدور حولها. ولكن عندما وقعت عيناها على جيني من خلال فتحة الباب التفتت على الفور والابتسامة تعلو وجهها ونادتها قائلة:

«ادخلي يا عزيزتي واغلقي الباب وراءك خوفاً من مرور العمة ايفي. اني اعتقد ان هذه التسريحة تناسبني كثيراً. الا تعتقدين ذلك؟ ان الشعر القصير يبدو جميلاً في فصل الصيف».

«تبدين في غاية الروعة»:

وقالت فليسيتي بصوت ناعم وهي ترفع خصلات شعرها من وراء عنقها:

«تعالي نختار معاً فستاني لهذه السهرة؟ انظري ما حل بالفستان الاخضر؟».

«لقد تعلمت الاّ أعطي ميلي أيّ شيء للكي. وما كنت اعتقد انها ستحدث ثقباً فيه. ولكنها انسانة لطيفة».

«في الواقع فان هذا العمل ليس من اختصاصها. فهي تساعد ماغي في المطبخ كما تعلمين. وهي حاذقة في كسر الصحون وكل شيء ينجو من بين يديها يكون محظوظاً، في اي حال جئت لاحدثك بموضوع آخر».

«من دون شك بموضوع ديف».

«هناك مواضيع اخرى. دعيني ابدأ اولاً. ما رأيك بالمحارب المتوحش؟».

«انه رجل فاتن وحديثه مشوّق للغاية، بامكاني ان اصغي الى نبرته الموسيقية من دون ملل».

«رائع، لقد أعدت الي ثقتي».

«عمّ تتحدثين يا عزيزتي؟ في الحقيقة ان ثقافتك جعلتك اكثر غموضاً».

«بصراحة دان مغرم بك يا فليك فلا تتكلفي الابتسام. ان الامر جدّي للغاية».

ولم تتأثر فليك بموقف ابنتها وقالت بحزم:

«سأجلب له السعادة».

«لا اشك في ذلك. ولكن المشكلة هي ان دان سيسألك الزواج منه».
«وأي ضرر في ذلك؟».
«تعنين انك لا تمانعين في الزواج منه؟».
«عليّ ان اعترف اني فكرت بالموضوع».
«هل فكرت بجدية؟».
«بالطبع. وهل اعتقدت بأني فكرت بنوع آخر من العلاقة؟».
«ولكنك لا تحبينه يا فليك».
وتوقفت فليسيتي عن تمشيط شعرها وقالت:
«وما هو الحب؟ اخبريني يا صغيرتي».
«انه اكبر تحدّ في الحياة».
«لا تفسدي امسية حلوة كهذه يا عزيزتي، انك تنجرفين مع عواطفك. بكل صراحة انت صورة طبق الاصل عن والدك كارلو».
«هذا كلام لطيف. ولكن أرجوك لا تقسي كثيراً على والدي».
واعترضت فليسيتي قائلة:
«ولكني احببته. انك لا تسعين الى الشجار يا عزيزتي. انت تعرفين ما أشد ما اتألم من الصداع وانا ارى بانك اسيرة مزاج عصبي في هذه اللحظة».
ونهضت فليسيتي من مقعدها وانتصبت على رؤوس اصابعها وقد امتشقت قامتها الحلوة كقامة فتاة مراهقة وقالت:
«لا تنسي أنّ دان ثري جداً».
«وهل هذا احد الاسباب؟».
«اجل».
قالت فليسيتي بنبرة عالية وهي تتوقع ردة فعل ساخرة من جيني. ولكن جيني لم تفعل شيئاً من هذا القبيل وظلت ساكنة وسألت امها بجدية:
«ولكننا نعيش في رخاء. اعني اننا لسنا في حاجة ماسة لكل شيء. هل انت حقاً بحاجة الى المزيد؟ الامر لا يبدو لي مقبولاً».
«الحقيقة يا عزيزتي، ليست لديّ تحفظات بشأن المال. ولم تكن لي اية تحفظات طوال حياتي فضلاً عن اني اريد ثروة خاصة بي».
في ومضة عين وبعد ان مرت لحظة المفاجأة، هبت جيني من مقعدها

وتقدمت بضع خطوات من امها التي تراجعت الى عمود السرير وهي تقول مذعورة:
«حقاً انك تذكرينني بأبيك، الرجل العنيف الوحيد في حياتي. أرجوك ان تقفي في مكانك واصغي جيداً الى ما سأقوله لك. انني لم اكشف لك عن هذا السر من قبل ولكن اعلمي اننا مفلستان نتيجة لمستويات معيشتنا».
وتمتمت جيني قائلة:
«انني لا اصدّق كلمة مما تقولينه. فالكل يعتقد اننا من الأثرياء».
«هذا جزء من اللعبة. علينا ان نحافظ على المظاهر. انها اموال فولكنر وانغو، يا عزيزتي جيني، هو الممول الاكبر. فهل تصدقين الآن؟».
«اذا كان هذا صحيحاً فاني سأموت من العار».
وحدقت فليسيتي بعيني ابنتها وصرخت في وجهها:
«كلا لن تموتي، ولماذا لا يعيلنا انغو انه يملك اموالاً طائلة تفوق التصور».
«ولكن ماذا بشأن هوغي».
«كان هوغي انساناً عزيزاً ولكنه فاشل. وقد انفق معظم المال لتسديد الديون وما تبقى منه لم يكن كافياً ولا يكاد يغطي تكاليف شراء فستانين انيقين لي».
«انك تنفقين اموالا باهظة على ملابسك يا فليك. وهذا ما كنت اردده دوماً على مسامعك. على الافتراض اذن انّ انغو هو الذي كان يدفع اقساط مدرستي».
«بكل تأكيد وانا لا احبذ فكرة حصول الفتيات على التعليم العالي لانه يجعلهن غير قانعات بأحوالهن. ولكن لا تقلقي بشأن انغو لأن مساعدته تدخل السعادة الى قلبه».
وردّت جيني بمرارة:
«ولكنها لا تدخل السعادة الى قلبي».
وقالت فليسيتي باستخفاف:
«انك كبركان صغير تثورين دون انذار مسبق، وما هي المشكلة يا عزيزتي؟ انه من واجب انغو ان يخصنا بحفنة من امواله، انه قريبي وليس

من المعقول ان يحتفظ بكل امواله لنفسه. اننا مجرد مخلوقتين ضعيفتين».

«أنا سعيدة بأننا الوحيدتان المتبقيتان من طرازنا، ولكن لا يمكنك الزواج من دان لمجرد تأمين حياتك. وبغض النظر عن كل شيء، فمن واجبك ان تحترمي شعوره العميق نحوك. فلا تبيعيه رخيصاً».

«وأنا ايضاً لست بحاجة الى نصائحك لاجعل الرجل سعيداً».

«لا تنسي يا فليك انك عندما تملين من الرجال تنبذينهم بكل بساطة من حياتك. ولكن بالنسبة الى دان فسيكون من الصعب التخلّص منه بهذه الطريقة. فهو ضخم الجثة وليس سهل الانقياد كما يبدو عليه. انه يخفي تحت قفازيه الحريريين قبضتين من الفولاذ فلا تتغاضي عن هذه الحقيقة. ان المرأة التي تتزوج دان عليها ان تتقيّد بنهجه الصارم وتدرك ان الطريق ليست مفروشة كلها بالورود».

«حسناً، اذا أصررت على معرفة المزيد فبامكاني ان اقول ان تأمين مستقبلي ليس السبب الوحيد مع انه يشكل، برأيي، سبباً وجيهاً بالنسبة الى امرأة بعمري».

«لم اسمعك تشيرين الى عمرك من قبل».

«قد أبدو اصغر مما انا بعشرات السنين ولكني لا ادري متى ستفاجئني الشيخوخة وتترك آثارها العميقة في جسدي. لقد عشت على رصيد جمالي وتعلّق بي الرجال بفضل هذا الجمال ولكن وان يختلف عنهم فهو من النوع الذي سيظل متعلقاً بي على الرغم من قساوة الايام».

«ومن البديهي القول انه هو ايضاً يتوقع المعاملة بالمثل».

«لست بحاجة الى التشديد على هذه النقطة فانت وانغو تعاملانني وكأني امرأة طائشة تماماً، كما تعتبرني العمة ايمي مخلوقة هشة وسريعة العطب».

«اذن سامحينا يا فليك. كنت قلقة من انك تستمتعين بايامك على حساب دان».

«وما ضررذلك؟ ان الحياة لعبة مسلية يا جيني وانت تبدين في غاية الجدية».

«كنت اتمنى لو أنك انت ايضاً تتصرفين بجدية. اذا تزوجت دان، وهذا ما نتوقعه جميعنا، فستعيشين في الطرف الآخر من الدنيا».

«وما هي المشكلة؟ الاميركيون شعب متمدن اينما كانوا، وقد رأيتك

تستمتعين برفقة دان».

«اني استلطفه وكذلك كل من في المنزل. انه رجل مهذب، متقد الذهن، خفيف الظل سمْح».

«ومِمَ تشكّين اذن؟».

«انني سافتقدك كثيراً».

«ولكن يا عزيزتي ستأتين معنا. دان سيلح على ذلك. انك جميلة فاتنة ومن يدري فقد تصبحين ممثلة عالمية».

وردت جيني بازدراء:

«هذا آخر شيء افكر فيه. هذا وطني يا فليك، وانا استرالية».

«كان والدك ايطالياً».

«لا اهمية لذلك. لقد ربطت جذوري بتراب استراليا وانا اؤمن ايماناً راسخاً بوطني. انه عملاق غارق في سباته الآن ولا اريد ان اكون بعيدة عندما يستيقظ. اني اعشقه».

«وانا كذلك».

«اذن فأنت جادة بشأن دان؟».

«لم اقل ذلك بالضبط».

وقالت جيني متوسلة:

«لا تعذبيه يا امي، فهو انسان لطيف للغاية».

«وهو ناضج ما فيه الكفاية ليعتني بنفسه».

«هذا هو المفروض ولكن لا تستغربي ان ينجرف في عاطفته. هل هو على علم بازواجك الثلاثة».

«هذا قرار سأتخذه انا بنفسي. في اي حال شكراً يا عزيزتي».

«اتعنين انك لم تخبريه بعد بالامر؟».

«وهل هذا ضروري؟».

«اجل اذا اردت ان تكون الفرص متساوية».

وعادت فليسيتي بخطواتها الرشيقة الى منضدة الملابس والتقطت الفرشاة وقالت وهي تمعن فيها النظر:

«دان لا يهتم بهذه الامور. ولكني في النهاية سأخبره بكل شيء وانا متأكدة من انه سيتفهم سوء طالعي بعد كل تلك التجارب الفاشلة التي

عكرت مجرى حياتي».
وسألت جيني بفتور:
«وتودين معاودة الكرة؟».
«بكل تأكيد، هذا شأني انا فلا تتدخلي فيه».
«انا منغمسة فيه حتى آخر ايام حياتي. اترين يا فليك اني احبك في السراء والضراء فلماذا لم تخبريني ان انغو كان يعتني بنا؟».
«كان هذا جزءاً من الاتفاق».
قالت فليسيتي وهي تنظر الى اظافرها المطلية واضافت:
«لقد طلب مني انغو ان اكتم الامر عنك وانا انصحك بان تتجاهلي الموضوع امامه. وبالنسبة الى فتاة ذكية مثلك فاني اتساءل كيف لم تكتشفي الامر قبل اليوم وأنت تعرفين كيف انفق المال يميناً وشمالاً».
«ربما عن قصد. واتساءل انا ايضاً كيف ان هذا الوضع الشاذ لم يزعجك؟».
«ولماذا يزعجني؟ انغو قريبي وصديقي العزيز وهو يحبني بعفة واخلاص، وهو يحبك ايضاً ولكن ليس بمقدار حبه لي، وفي الواقع كان يحبك وانت طفلة اكثر من حبه لشقيقته. انا اعرف ذلك، كانت تريش تغار من ذلك الحب وهي طفلة. والحمد لله فانها تزوجت وعادت الامور الى طبيعتها. اني مشتاقة الى رؤيتها مع اولادها خصوصاً ابنها الصغير فانا متعلّقة به كثيراً. الا تعتقدين اني ما ازال قادرة على انجاب الاطفال؟».
ولم تتمالك جيني نفسها فردت بخشونة وهي تكاد تصطدم باناء على المنضدة:
«انت تمزحين اليس كذلك؟».
«بالطبع انا احتاج الى زوج. وليس من غير الطبيعي ان تنجب امرأة بعمري طفلا آخر. انت تعرفين ذلك».
وضحكت جيني وقالت:
«فليك انك لن تتوقفي عن ادهاشي. وفي الواقع فأنا غير قادرة على الكلام».
«انا نفسي اشعر بالدهشة فقد مضى وقت طويل لم اقترب فيه من حضانة للأطفال».
«اما وقد بلغت هذا الحد من التفكير أفلا تعتقدين انك مغرمة بدان؟».
«اعتقد انه رجل رائع وقد افاجئه وأهديه طفلاً جميلاً».
«انه نوع من التحدي».
«قد افقد بعض جاذبيتي ولكن كل شيء سيعود الى حالته الطبيعية بعد الولادة. ان شهيتي للأكل، كما تعرفين، ضئيلة كشهية عصفور».
«كلا لم اعرف ذلك. كنت اظن ان شهيتك متعاظمة».
وادارت جيني رأسها وهي لا تدري هل تضحك او تبكي. فقد شعرت بالم حاد يحز في اعماقها من دون ان تعرف السبب. ثم التفتت الى امها وقالت:
«علي ان اذهب الآن واعد نفسي للعشاء».
«ارتدي ذلك الفستان الاصفر انه يبرز جمالك. وبالمناسبة فهل هناك اغنية تكساسية تتغنى بوردة صفراء؟».
«ليباركك الله يا امي، اجل هناك اغنية بهذا المعنى. اطلبي من دان ان يغنيها لك وانت تمسكين بيده على الشرفة».
«اعرف يا جيني انك تشعرين بالوحدة. كم اود لو كان ديف هنا. وبالمناسبة فان انغو سيذهب لاحضار تريش والاولاد فهل سترافقينه؟».
«لم يطلب انغو مني ان ارافقه».
وابتسمت فليسيتي وقالت:
«انت تعرفين انغو. انه يدبّر امور الجميع».
«يبدو انها ميزة عائلية».
«انت عفريتة يا عزيزتي».
«بدأت اشعر اني مجرد بيرق».
«اهدئي يا عزيزتي. انا متيقنة من انك ستستمتعين بالعيش في تكساس».
«اليس من الافضل التريّث حتى يطلب دان يدك؟».
«الم يقل لك احد باني انا التي افرض ارادتي».
«تقبّلي نصيحة ابنتك هذه المرة، اتركي دان يعمل على طريقته. فهو معتاد على اتخاذ القرارات كرجل قوي وجبار».
وقاطعتها فليسيتي وهي تدور على نفسها في الغرفة وقالت مبتسمة:

«لم تقولي لي حتى الآن اي فستان سارتديه، أفستاناً خفيفاً ومنعشاً؟».

قالت جيني بنبرة مؤنبة:

«لا تثقلي على دان فهو لا يكاد يلتقط انفاسه».

«تبدين مضطربة ومنفعلة يا جيني فهل تفتقدين ديف؟ اظن ان هذا هو السبب».

«وهل يفيدني بشيء ان أخالفك الرأي؟».

«كان بالامكان ان نكون شقيقتين».

«هذا بالضبط رأيي يا فليك. انت اختي الصغيرة لم اشعر في حياتي اني بحاجة الى ام. فالامهات غير ضروريات احياناً».

واسرعت جيني في الخروج من الغرفة وهي تكافح الدموع في عينيها. لقد اصبحت سريعة الانفعال في الايام الاخيرة وتوجهت الى حيث كان انغو الذي شعر على الفور ان شيئاً ما قد حدث. فسألها:

«ما الأمر؟».

كان السؤال عادياً ولكنه ينم عن اهتمام صادق. ولم تجب جيني وهي تتخبط في شعور حزين لم تكن تدري سببه ورأسها غارق بين كتفيها وعلامات الاسى بادية على وجهها. وسحبها انغو الى مكتبه واغلق الباب واعاد السؤال:

«لقد قلت ما الامر؟».

«لا شيء على الاطلاق».

«لا اصدّق ذلك. لقد خرجت من غرفة فليك وانت تبكين».

«ليس لي صديق واحد اعتمد عليه».

وجيني انا هنا. انت لست دون صديق في خضم هذا العالم القاسي العديم الشفقة».

«ولماذا كتمت عني الامر؟».

«وماذا كتمت عنك؟».

«انك العرّاب».

«اذن اطلعتك فليك على السر؟».

«لم تقل لي ذلك صراحة. كانت مجرد زلة لسان».

«وكيف تشعرين الآن بعد ان عرفت بالامر؟».

«يائسة جداً».

«وهل كنت تظنين اني سأتركك وحيدة تعاركين الحياة».

«كان عليك ان تخبرني يا انغو. لي الحق في ان اعرف هذه الامور».

وقال انغو بغضب:

«لماذا اختارت فليك هذا الوقت بالذات لاطلاعك على الامر؟».

وردت جيني بسرعة وهي تشعر وكأن بركاناً هائجاً من الغضب سينفجر في داخلها في اية لحظة:

«فليك تفكر في الانتقال الى تكساس».

ولم يظهر على انغو انه حمل الموضوع على محمل الجد وقال بهدوء:

«فليك تسترسل دائماً في أحلام اليقظة».

«اعتقد انها جادة هذه المرة».

«مسكين دان».

وردت جيني وهي تحاول الدفاع عن امها كالعادة:

«فليك لا تشكو من شيء».

«وهل تريدين بعض الامثلة على حياتها الطائشة؟».

«كنت اعتقد ان تحاول تهدئة مخاوفي».

«صدقيني اني احاول. لماذا تبكين الآن؟».

«قد يكون ذلك بسبب سني او ربما انا على حافة انهيار عصبي».

«انا متأكد من ان فليك اثارت اعصابك. واذا ارادت ان تذهب الى تكساس فلتذهب ولترافقها السلامة».

«انها تتوقع مني ان اذهب معها».

وردّ انغو بقوة:

«كلا، انت ستبقين هنا. لقد افسدت فليك كل شيء في هذه العطلة وعليها ان تدرك ذلك».

«من حسن حظي اني في السنة الاخيرة من دراستي. وقد تعبت كثيراً في تحضير الامتحانات النهائية».

واتكأ انغو على المقعد وراء منضدته وقال بشيء من الخفة:

«اتساءل ماذا سيحدث الآن؟».

«بالطبع سأبحث عن عمل».

«معظم الناس يعمل الآن. لقد حان الوقت لكي تفكري بمستقبلك. ماذا بشأن ديف؟».

«لا تحدثني عن ديف الآن ولا اريد الدخول في هذا الموضوع».

«ولكنك دعوته الى تاندارو وسيصل في غضون ايام».

«ارجوك يا انغو. ان معنوياتي في اسفل الدركات. هل تريد سماع المزيد؟ فليك تفكر في انجاب طفل بعد الزواج».

«ولكن لماذا تبكين؟ مثل هذه الامور تحدث لفليك بانتظام. بربك توقفي عن البكاء، انيّ لا احتمل هذا المشهد».

فردت جيني بين شهقتين:

«اني قلقة ايضاً بشأنك».

«انا صديقك يا صغيرتي. كنت تؤمنين بهذه الصداقة وانت طفلة فلماذا لا تؤمنين بها الآن؟».

كانت جيني تشهق بصوت خافت وكان انغو يمسح دموعها بمنديل نظيف فقال متابعاً حديثه:

«لقد بالغت في البكاء انه لا يجدي نفعاً الآن. واذا كان لديك أيّ شيء هام فقوليه ولا ترددي».

«انك اعز مخلوق عندي».

«يا لها من نعمة. اسمعي يا جيانينا. فليك تحبك على طريقتها فانت كل شيء في حياتها الا نفسها بالطبع».

«وفليك هي امي يا انغو».

قالت جيني وهي تنفجر في البكاء من جديد.

«انها امي. الا تفهم ذلك؟ اني لا اريدها ان ترتكب اخطاء جديدة».

ورفع انغو وجهها الحزين وقد اغرورقت عيناها السوداوان بالدموع، وقال:

«الم تلاحظي كيف انها خرجت من كل تجاربها دون خدش كالشعرة من العجينة. انت التي تأذيت. ان صورة فليك الهشة والضعيفة هي صورة مصطنعة. انها امرأة بارعة في تحمل المصاعب ثم رميها في سلة المهملات. ولو انك مررت بتجاربها لكانت اعصابك انهارت حتى الآن. هيا انسي الامر يا جيني فوجهك يبدو يائساً كوجه طفل صغير. انني لم اذق حتى اليوم طعم دموعك وقد تدفعينني الى ذلك في اللحظة المقبلة اذا لم تتوقفي عن البكاء».

كانت جيني تبحث في وجه انغو عن تعابير غامضة لسبر غورها فسألته:

«ما تظن سيحدث لو بقينا وحدنا؟».

«لا شيء يمكن ان تندمي عليه. فانا لست غريب الاطوار ولا مثيراً للقلق».

«ولكنك تجمع الامرين معاً. ومع ذلك فانا لست خائفة ولا استطيع تفسير ذلك الشعور. فعندما تضمني الى صدرك اشعر وكأني اقف في غمرة من النور الساطع يحجب عني كل احساس خارجي. وكل ما استطيع عمله هو الاسترسال في احاسيس لم اختبرها من قبل وهي تخيفني الى حد ما. كل شيء فيك يجتذبني كفراشة تلبي نداء القنديل. انه امر غريب».

واسندت جيني رأسها على كتف انغو وتركته في شبه غيبوبة. وظل انغو صامتاً برهة من الزمن ثم سمعت صوته العميق يسألها:

«هل انت على ما يرام في مكانك؟».

وهزت جيني رأسها وقالت:

«بكل تأكيد. من المضحك كيف اني اتعلق بك بعد كل تلك المشاجرات بيننا».

«لقد كانت مفيدة. وبالمناسبة من قال ان فليك ترتكب خطأ؟ دان رجل رائع ومن يدري فقد يكون الرجل المناسب لاصلاح فليك».

«يبدو لي ان ما من رجل في حياة فليك استطاع ان يصلحها».

«الم تقولي ان دان هو افضلهم؟ ولا تنسي ان فليك لم تعد فتية كما كانت وهي تشعر الآن ان الوقت قد حان لتستقر بغض النظر عن بعض الحوادث المتفرقة. وهذه امور لا تعنيك».

«من الافضل ان اخطط لحياتي الشخصية».

وغمغم انغو قائلاً:

«انك لي كلياً. سأذهب الآن لاحضر تريش والاولاد. اتريدين مرافقتي؟».

«الا تفضل ان تكون بمفردك؟».

«سأتجاهل هذه الملاحظة. تريش تحبك وانت صديقة اولادها، فضلاً

عن اني ارغب في رفقتك».
وتنهدت جيني وقالت:
«اتساءل كيف ارد الجميل لك».
«على اي شيء؟».
«لجعلي راغدة العيش طوال تلك السنوات وخصوصاً لما فعلته من اجل فليك».
«ليس من اجل فليك بل من اجلك انت وحدك».
«انا».
«لا يمكنني خداعك بعد الآن. لقد ساعدت فليك بالطبع ولكن انت التي كنت بحاجة الى الحماية».
«حسناً ما فعلت يا انغو فولكنر علي ان اشعر بسعادة اكبر الآن».
«اني ارى مسحة من الكآبة تطفو على وجهك واشعر بتأثيرها علي. هيا انهضي يا ملاكي، علينا ان نغيّر ملابسنا للعشاء».
«متى ستترك المنزل غداً صباحاً؟».
«حوالى التاسعة. كان بامكان تريش ان تعفينا من هذا العناء ولكني الححت في الذهاب لملاقاتها فالاولاد يحلمون في القيام برحلة على متن الطائرة».
«كانت تريش تحسّ بالغيرة تجاهي وهي طفلة».
«اعرف ذلك».
«ما من شيء سهل في الحياة اليس كذلك؟».
«كانت تريش طفلة مشردة واعتقد انها تحسنت كثيراً بفضل زوجها ايان واولادها».
«هل نسيت امك يا انغو؟».
«افضل ان لا اتحدث عن امي يا جيني».
«انه امر حزين. كانت هي ايضاً امرأة معذبة».
«اجل كانت امرأة تعيسة».
«ربما لم تتخلَّ عنك بارادتها».
«تتخلّى عني؟ ولم تكن قادرة على حبي ايضاً».
«كان ابوك مستبداً للغاية ولم يكن في وسع امك الوقوف في وجهه».

وقال انغو وهو يكاد يصعقها بنظراته:
«وهل كنت تقبلين انت بالتخلي عن طفلك؟ كلا يا جيني. اني اعرفك تمام المعرفة. امي تركتني وانا راض بالا اراها مرة ثانية في حياتي».
«لعلها تدرك شعورك. تريش تراها باستمرار».
«هذا شأنها. اما انا فلن أكن لها اي عطف او اخصّها بأية التفاتة وهي تعيش في بحبوحة من النفقة المخصصة لها ولن ارسل لها اية دعوة مجاملة. انها لن تضع قدمها مرة ثانية في تاندارو».
«هل تعني حقاً ما تقول؟».
ونظر انغو اليها بعينين صارمتين وقد ضاقت حدقتها من الغضب:
«اجل اعني ما اقول».
«ولكنها عانت الامرّين كل تلك السنوات يا انغو».
«انها حجة مألوفة لا تحرّك عاطفتي».
«ولكنّها لم تتزوّج مرة ثانية».
«نِعْمَ ما فعلت والاّ كنت قطعت عنها النفقة».
«انت لست والدك يا انغو. انت اكثر حناناً من ابيك واكرم خلقاً، الا تستطيع ان تكون اكثر نبلاً وتسامحاً الآن؟».
«كلا لا استطيع والافضل لك ان تنسي هذا الموضوع. هل تشعرين بتحسن؟».
وتنهدت جيني وقالت:
«كيف ابدو؟».
«تماماً كما كنت وانت طفلة صغيرة. لقد بدأت اسأل نفسي هل هناك طفلة اخرى في حياتي؟».
«لقد كنت دائماً هدفك المألوف. انا متأكدة الآن ان تريش لا تزال تغتاظ من وجودي».
وعلق انغو قائلاً:
«ان آثار طفولة تعيسة تظل عالقة مدى السنين ومع ذلك استطاعت تريش ان تبني بيتاً سعيداً مما اكسبها ثقة بنفسها».
«ولكن لم يسعدها الحظ للعيش معك».
«كفى سخرية واحمدي الله على نعمته».

كان من المفروض ان تكون الرحلة الى أديلايد نزهة ممتعة ولكنها من دون انذار تحولت الى كابوس مخيف. الرحلة بالطائرة تمت دون حادث يذكر وكذلك الرحلة بسيارة الاجرة بين المطار والضاحية حيث كان يعيش ايان وتريش في بيت تحيط به حديقة غناء. كان يوماً جميلا يشع بالنور والدفء. وقد احبت جيني المدينة لهدوئها الذي يفوق هدوء معظم المدن الاخرى.

عندما وصلا الى منزل تريش لم يكن هناك اثر للاولاد وهذا بحدّ ذاته كان امراً مريحاً لانه انقذ انغو من اسئلتهم الملحة دون ذكر رحلة العودة التي لا مفر منها الى تاندارو. وكانت جيني تتوقّع ضجة صاخبة في رقعة المرح امام المنزل وعوضاً عن ذلك كان هدوء تام يخيّم على المكان، زهور مبرعمة ومفتحة، طنين النحل وطيور مغردة وصوت آلة تجز العشب وراء الاشجار. كان حقاً يوماً جميلا من ايام الصيف.

وسألت جيني مبتسمة:

«هل جئنا الى العنوان الصحيح؟».

«انه جو غير اعتيادي، اين الاولاد يا ترى؟ لقد احضرت لهم الهدايا التي وعدتهم بها».

«سأدور حول المنزل واستطلع الامر».

«قولي لتريش انني بحاجة الى فنجان قهوة قوية».

«انني متأكدة من انها ستفكر بذلك. النساء لا ينسين هذه الامور».

«ذكّريها فقط انها غالباً ما تسترسل في الاحاديث الطويلة».

«الا يحق للمرأة ان تتحدث قليلاً؟ لماذا لا يستطيع الرجل ان يكون اكثر تعقلاً؟».

«ولماذا لا تستطيع المرأة ان تفعل ما يطلب منها؟».

«سمعاً وطاعة يا سيدي».

ردت جيني وهي تبتعد بخطى رشيقة. فيما كان انغو ينزل من السيارة ويتوجه الى صندوقها حيث كدّس الهدايا والالعاب التي استحوذت على اعجاب الاولاد خلال زيارتهم الاخيرة لتاندارو. وقرعت جيني الباب الامامي وتراجعت الى الوراء قليلاً وهي تتأمل الاغراس المزهرة. وما هي سوى لحظات حتى جاءت تريش وفتحت الباب على مصراعيه وهي بادية العصبية ونظرت بعينين ناعمتين تفتقران كلياً الى ذلك الوميض الفضي

الذي يعطي عيني انغو بريقهما الجذاب. ومع ذلك كانت تريش تشبه أخاها الى حدّ كبير مما جعلها تبدو امرأة جميلة للغاية وان كان ينقصها تلك الغطرسة العفوية التي يتحلّى بها انغو والتي تتحوّل احياناً الى نظرات مخيفة. كانت تريش تبدو مذعورة ومضطربة.

وانحنت جيني نحوها بحركة مجاملة والتقطت يدها وشدت عليها وهي تقول:

«اشعر اننا جئنا في يوم غير مناسب. هل هناك من خطب يا تريش؟».

«كلا بالطبع لا شيء. ادخلي. انت تبدين رائعة كالعادة وتجعلينني ابدو ربة منزل عادية».

«هذا كلام غير صحيح. من مباهج الحياة ان تبدو المرأة ربة منزل عادية لها بيتها الجميل ومحاطة بزوجها واولادها. ولكن اين الصغيران؟ اني لا اطيق صبراً. اريد أن أراهما».

«انهما في الطابق العلوي».

«وهل تحتجزينهما في غرفتهما؟».

«سينزلان في اية لحظة».

«حسناً، انغو سيأتي حالاً: لقد احضر لهما علبة مملوءة بلعبهما المفضلة».

«لا اذكر شيئاً عن تلك اللعب».

«انا اذكر».

قالت جيني وهي تدور في غرفة الجلوس الانيقة. وفي باديء الامر لم تر جيني شيئاً بسبب اشعة الشمس المبهرة، ولكن فجأة وقعت عيناها على امرأة جالسة في كرسي كبير وقد رفعت رأسها الأدكن بحركة كلّها وقار وجاذبية. لم تكن جيني مهيأة لمواجهة تلك المفاجأة لذلك كانت الصدمة صاعقة تركتها شبه مشلولة غير قادرة على الكلام. ولكنها بعد برهة استعادت انفاسها وتمتمت قائلة:

«السيدة فولكنر».

وابتسمت المرأة ونهضت من كرسيها وسارت نحو جيني بخطى وئيدة، كانت من دون ادنى شك ام انغو. ومدّت يديها وهي تقول بصوت خافت:

«انك جيني يا الهي ما أجملك!! جميع صورك لا تعطيك حقك».

وتناولت جيني بحركة اوتوماتيكية اليد الممدودة اليها والمرتجفة وقالت

بألم:

«انغو هنا في الخارج».

«اعرف ذلك».

قالت ماريان فولكنر وقد كست وجهها غلالة من الغموض والحزن العميق.

«لم يتغيّر قط يا سيدة فولكنر».

«اني ادرك ما تعنيه يا صغيرتي».

وغصت جيني بريقها وقالت:

«هل انت مستعدة لمزيد من الآلام؟».

«لن انال غفرانه مهما فعلت».

«ارجوك يا سيدة فولكنر».

قالت جيني وهي تسعى في محاولة يائسة لحمايتها من الاسوأ.

«لا تقلقي. اني اثق بك يا جيني. عيناك جميلتان. لم تكن الحياة سهلة بالنسبة اليك ايضاً، وبامكاني ان ارى بعض الشبه بينك وبين فليسيتي في الانف والخدين والوجه الناعم ولكن شعر فليك لم يكن بهذا اللون الذهبي، كيف هي الآن؟».

«انها بصحة جيدة وسعيدة. وسأبلغها تحياتك».

«افعلي ذلك يا عزيزتي فلقد احببتها دائماً».

كان الحديث طبيعياً وصادقاً وكانت يدا السيدة فولكنر ترتجفان بصورة دائمة. وقالت تريش فجأة:

«اشعر انه سيغمى عليّ. انغو سيغتاظ جداً».

وردّت ماريان فولكنر بهدوء كامل:

«انها فكرتي، لقد اردت رؤية ابني».

وقالت جيني بتصميم مماثل:

«سترينه».

وجاءهن صوت انغو قادماً من المدخل، جذاباً فيه نبرة ضاحكة وهو ينادي:

«اين انتم بحق الملائكة. جيني؟ تريش؟ يا له من استقبال حار!!؟».

وردت جيني وكانت الوحيدة التي استطاعت ان تفتح فمها وقالت:

«نحن هنا في الداخل».

وكانت تشعر بالاضطراب يهز المرأة النحيلة الواقفة امامها لا حول لها ولا قوة. وكانت تريش قد لاذت بالركن الاخر من الغرفة وهي تشعر باضطراب مماثل وفجأة قفز قلب جيني من مكانه من شدة التوتر.

بدا انغو في غاية الجمال وهو يدخل الغرفة مليئاً بالحياة وواثقاً من نفسه. كان صورة صادقة عن ابيه وكانت يدا ماريان تضغطان بشدة على يدي جيني كأنها تحاول ان تستمد القوة منها وفكرت جيني انه من الظلم ان لا تحصل الام على اغلى امنيتها بعد كل هذا العذاب والجهد.

وفجأة تسمّر انغو في مكانه كأنه تمثال اصم ورفع رأسه الأدكن الارستقراطي وقد تطاير الغضب من عينيه وكاد يصعق كل من في الغرفة، فعلى بضع خطوات منه وقفت امه مذعورة وقد غاص كل لون من وجهها. واسرعت تريش نحوه وقالت متوسلة:

«ارجوك يا انغو، اياً كانت مشاعرك فكن لطيفاً».

ولم يلتفت اليها. كان اللطف ابعد الاشياء عنه في تلك اللحظة. كان وجهه مغموراً بهالة رائعة تتفجر منه القسوة وارتسمت على شفتيه معالم الازدراء والغطرسة وقال بصوت صارم اجش:

«جيني».

وانفجرت تريش باكية وهي تقول:

«انا متأسفة، متأسفة».

كانت الغرفة تسبح في دوامة من الحقد والعداء. وشعرت جيني ان قلبها يكاد يقفز من صدرها وقد رأت ماريان في وضع يائس وهي تحدق بابنها بقوة وعزم.

كانت جميع الانظار مشدودة الى انغو الذي بدا وكأنه سينفجر تحت تأثير مرارته العميقة. ولم تر جيني اية فائدة من بقائها في مكانها فسحبت يدها من يد ماريان وهي تلامسها مواسية وقالت:

«انا متأسفة جداً يا سيدة فولكنر. ارجوك صدقيني».

ولم ترد ماريان. كانت عيناها المشعتان مسمرتين كلياً على ذلك الانسان المحظور عليها والغريب الى حد ما. كانت تبذل مجهوداً كبيراً لكي تستمر في الوقوف في مكانها ضعيفة تائهة كضحية تحاول مواجهة فرقة كاملة من

المحاربين. ولم يخدع انغو احداً بسكوته فقد كان ثائراً كالبركان وكانت عيناه متألقتين مثل ماستين جميلتين.

«افترض انك لن تأتي معي يا تريش».

لم يكن ذلك مجرد سؤال بل شبه قرار ادركت تريش معناه الحقيقي. فقالت والدموع تنهمر من عينيها:

«ولكني كنت انوي المجيء. كنت انوي».

كان اسى تريش كفيلاً بجعل اي قلب يرقّ لحالها الاّ قلب اخيها فقد اكتفى بالنظر اليها وهي مقهورة على امرها في كرسيها وقال:

«الا تستطيعين المجيء بمفردك؟».

وتدخلت جيني وقالت متوسلة:

«ارجوك يا انغو اتركها وشأنها. اني اشك في ان يكون لها علاقة في الموضوع».

«وانا متأسف لاني سأخيب آمال الصغيرين. لقد كانت فرصة مناسبة، لربما تجددت مرة اخرى».

ومد يده وامسك بمعصم جيني وجرها بخشونة وهي تتلوى من الالم. وادركت جيني ان الغضب قد اعمى انغو وجعله يصم اذنيه لكل التوسلات. ومع ذلك حاولت مرة اخيرة وقالت:

«الا يمكننا اصطحابها؟ الا يمكننا الانتظار في السيارة؟ لقد قطعنا كل تلك المسافة لنعود بخفي حنين؟».

ولاول مرة منذ ان دخل انغو الغرفة، فتحت ماريان فولكنر فمها وقالت لابنها:

«اللوم كله يقع علي وحدي. الا تريد يا انغو ان تكلمني؟».

وردّ انغو بصوت كحدّ السكين:

«اعذريني يا سيدتي، اني لا اعرفك».

واندفعت تريش نحوه وشدت على ذراعه وهي تقول:

«لماذا انت بلا شفقة؟ انت تبدو كوالدنا».

«ابتعدي عني».

كان العنف يتدفق من عينيه وبدأت جيني ترتعد خوفاً مما لفت انتباه انغو. فنظر اليها وأزاح بلطف يد اخته عنه وقد اشتد سواد عينيها وتصلبت

شفتاها فاسرعت تقول:

«دائماً جيني. جيني الصغيرة بخصلات شعرها الناعمة كالاطفال. لقد كرهتك يا جيني طوال سنوات وسنوات ولكن لم يكن الذنب ذنبك. لم تسعي وراء قلب انغو البارد. كان دائماً بين يديك. نحن المستجديتان انا وامي. لقد تركتما انت وابي بصماتكما علينا. وفي الحقيقة انت لم تخسري شيئاً. انت تملكين تاندارو. ولم يهتم ابي باحد سواك. لم اكن شيئاً، مجرد فتاة تحتاج الى من ينفق عليها المال. لماذا لا تستمعون الى قصة حياتي؟ الحياة التافهة بالنسبة الى الجميع. امي، ابي وانت. كنت شقيقتك يا انغو ولكن جيني كانت دائماً تستحوذ على اهتمامك. واين هي الآن؟ انها في تاندارو وكان يجب ان يكون عالمي هناك ولكن اصبحت انا اللاجئة هذه هي الحقيقة يا جيني. الفتاة الخجول بعينيها المغرورقتين بالدموع والوجه الحزين، الفتاة الجذابة المتعطشة للحب. انت لا تخدعين احداً. الا ترين ان انغو مغرم بك؟ لا تنظري الي، اني لست سخيفة. لقد عرفت ذلك منذ سنوات. انها قصة من صفحات التاريخ. الست مهتمة بالموضوع ام انه نال مآربه منك؟».

«باتريشيا».

علا صوت كأنه سوط لاهب. واستدارت تريش نحو امها ونظرت اليها بطرف عينيها وقالت:

«لا تحاولي ان توقفيني الآن يا امي لقد اخبرتك كل شيء عن جيني. انسي قليلاً اهدابها وعينيها الواسعتين وخصلات شعرها القضية. اني اكره حتى النظر اليها. انها انتهازية مثل امها».

وارتفعت يد انغو المفتوحة وصفعت تريش فترنحت وانهارت على كرسي وهي تنشج في البكاء بينما احمر احد وجنتيها وسالت على الاخر دموعها المتساقطة. وامسكت جيني بيد انغو وشدت عليها في محاولة للحؤول دون استرساله في الغضب وقد التمعت عيناه ببريق مخيف.

«ما كان عليك ان تفعل ذلك».

«لقد استحقت الصفعة، انها حقيرة وسافلة ولا تستحق التهنئة على تربيتها. هذه حالة خطيرة من حالات الاضطراب العاطفي».

«ارجوك يا انغو».

وخطت ماريان فولكنر بضع خطوات الى الامام في محاولة لمؤاساة ابنتها وقالت:

«انها تناضل من اجل الحصول على القليل مما يعود اليها».

كانت ثورة الغضب قد تلاشت من وجه انغو. كان يحدق بامه وشقيقته كأنه يراهما للمرة الاولى في حياته ويأمل الاّ يراهما بعد اليوم. وقال برقة:

«احقاً ما تقولين. كنت اظن انكما حصلتما على اكثر ما تستحقان».

«انا اتحدث عن العاطفة والحب».

وساد سكوت رهيب لفترة من الزمن قطعته قهقهة صادرة من اعماق انغو وهو يقول:

«أنا متأكد من أن معلوماتكما عن الموضوع سطحية للغاية».

«سنرحل الآن يا سيدة فولكنر». قالت جيني بصوت يائس وتابعت:

«وقد تتحول الامور الى الاسوأ. انا متأسفة».

وردت ماريان فولكنر بصوت يفتت الاكباد وقد ادارت ظهرها لهم:

«كنت اتلهف لرؤية ابني».

وجاء صوت انغو عنيفاً:

«ليسامحني الله. لقد شاهدته. فهل كان يستحق كل ذلك العناء؟».

«اجل».

وتمتمت جيني قائلة:

«لنذهب الآن يا انغو».

وانفجرت تريش وصرخت بصوت عنيف:

«اجل اذهبا الى الجحيم».

«انه افضل من الجنة مع اي واحدة منكما وسأرسل لكما بطاقة بريدية من هناك».

كان الجو شبيهاً بكابوس مزعج وكان يجب وضع حد له. ورفعت جيني رأسها وقد ترامى اليها صوت باب يفتح في الطابق العلوي، وخطوات تهبط السلالم. وبعد لحظة وقف صبي في السابعة من عمره وطفلة في الخامسة على عتبة الباب وهما يلهثان قبل ان يرتميا في احضان خالهما وقد اشرق وجهاهما بالفرح وشع من عينيهما بريق متألق من السعادة.

«خالنا انغو».

ورد انغو بهدوء وهو يلفهما:

«مرحباً يا اولاد».

وبالطبع لم يكن ترحيبه على مستوى هياجهما، فاستدارا نحو جيني واخذا يرقصان حولها مرحبين وقد تساءلت سارة لماذا لم يأخذها خالها انغو بين ذراعيه ويطوّح بها كالعادة في حين اطلق سين عنان عاطفته معبراً لهما عن سعادته الكبيرة برؤيتهما.

وهتف سين بفرح كبير:

«نحن على استعداد للذهاب. لقد طلبت منّا أمي الانتظار قليلاً في الغرفة ولكن حديثكم طال جداً. ماذا يوجد في العلبة عند المدخل؟».

وابتسمت جيني وقالت وهي تحاول التصرف بصورة طبيعية:

«الالعاب التي استحوذت على عقليكما في المرة السابقة».

«يا للهدايا الرائعة».

وسأل سين:

«اما زلت جالسة يا امي؟ الا تريدين النهوض؟».

وردت تريش بصوت خفيض وهي تخشى ان يخونها في اية لحظة:

«اننا غير ذاهبين».

وحدق سين بامه وقد علت الدهشة وجهه وقال:

«لا بدّ انك تمزحين. لقد جمعنا كل حوائجنا وانا اكملت فروضي وشربت سارة كأس الحليب. اننا نتوق الى الذهاب وننتظر بفارغ صبر تلك الساعة».

وردت تريش بحدة:

«لقد طرأ تغيير على برنامجنا».

والح سين قائلاً وهو يرفض تصديق امه:

«ولكننا جمعنا كل شيء».

وفجأة اختفت ابتسامة سارة واجهشت في بكاء مرير كاد يصم الاذان.

وصاحت تريش وهي غير قادرة على الوقوف على رجليها:

«اوقفي هذا البكاء».

وتدخلت جيني وقالت متوسلة:

«الا يمكنهما المجيء؟ انهما جاهزان، وانا اعدك بان اهتم بهما يا تريش».

وكانت تتقاذف تريش اعتبارات متضاربة من الامومة وبعد صمت قصير قالت وهي مطرقة الرأس:

«بامكان سين ان يذهب».

وردت جيني بحزم:

«كلاهما او لا احد».

وصرخت تريش:

«حسناً ليذهبا معاً. هما ايضاً لا يرغبان فيّ».

وتدخلت ماريان فولكنر وقالت:

«عودي الى ادراكك يا تريش. لقد انتظرا هذه الرحلة بفارغ صبر. انهما لن ينسياك ابداً».

وضحكت تريش ضحكة متقطعة وقالت وقد خبت نظراتها تحت وطأة الحزن:

«لن اجد في نفسي القوة لمواجهة ذلك الاحتمال».

وابتعد انغو عن الجميع مؤخراً موعد الرحيل واقترب من سين وسأله:

«اين هي اغراضك يا سين. سأضعها في السيارة».

«سمعاً وطاعة يا سيدي».

«دع اختك سارة تحمل اللعبة».

كان قلب انغو يغلي بالغضب ومع ذلك كانت جيني سموحة بشكل يفوق كل تصور ورحومة بالنسبة الى فتاة لا تنفك في تحديه. فهي بامكانها ان تنفجر كالبركان وتظل رقيقة الى ابعد حد. كانت هناك امور كثيرة تفصل بينهما. هو يشعر بالاشمئزاز تجاه شقيقته التي سمحت لمهاجمة جيني بدون اي مبرر. انها حقاً بحاجة الى طبيب نفساني. كان متعلقاً بحب الاولاد ولكنه قرر ان يرحل اذا لم تخرج جيني معهما في خلال دقيقة واحدة.

ولم يكد يصل الى السيارة حتى كانت جيني قد سبقته اليها وقد تعلق بذراعيها كل من سين وسارة وهتفت جيني:

«هيا اصعدا الى الداخل».

وقبل ان تأخذ مكانها قرب انغو كانا قد احتلا مكانهما على المقعد الخلفي. ونظر انغو الى وجهها بعينيه الفضيتين ونفذا الى صميمها كاشعة من النور وقال وكأنه قرأ ما يتفاعل في اعماقها:

«لقد جرحت شعورك. اليس كذلك؟».

«انسَ الامر. ربما ابدو لها كما قالت».

«ومن هي بنزواتها الحاسدة. كنت اظن انها تغيرت. كانت حياتها اكثر رفاهية من حياتك».

ومررت جيني راحتها على جبينها وقالت:

«لو ان احداً غيرها ابدى ملاحظة حقيرة بحق امي لبدأت في الصراخ».

«بامكانك ان تصرخي الى ان تنقطع انفاسك ولكن ذلك لن يغير الحقيقة. بوسعي ان احنق على فليك للمخاطر التي عرضتك اليها».

وما ان جلس الجميع في مقاعدهم حتى خرجت تريش ووقفت على عتبة الباب وهي تلوح بيدها. وردّ عليها سين وسارة وهما مضطربان قليلاً للمنحى الذي اتخذته الاحداث ولكنهما كانا ينبضان بالحيوية والنشاط.

كانا على وشك الانطلاق في مغامرة شيقة وكانت سارة منهمكة في التحدث الى دميتها عنها. وفكرت جيني بالتلويح لتريش ولكنها وجدت نفسها عاجزة عن ذلك. لقد نفد منها الاحساس بالاحسان وكانت قد لجأت اليه محبة بالاولاد. ولم ترغب حتى في التفكير باتهامات تريش التي جاءت وليدة الغيرة العمياء. وفي الواقع ظلّت تريش وهي في الثامنة والعشرين طفلة غير منسجمة مع بيئتها. وحدّقت جيني امامها وهي تشعر بالم يحز في اعماقها اكثر مما تعترف به. ولم يحمل انغو نفسه عناء الالتفات الى شقيقته بل انعطف بسرعة بالسيارة وانزلق بها في المنحدر حتى بلغ الطريق العام.

وجاءت ماريان فولكنر ووقفت وراء ابنتها تعيسة بائسة غير قادرة على كبت عاطفتها التي وضعتها لالقاء نظرة اخيرة على ابنها. كان الشبه كبيراً بينه وبين ابيه بعكس تريش.

٦ - خيوط العنكبوت

بالنسبة الى الكوابيس، لم تتمكن الأيام اللاحقة من محو آثار الصدمة التي تركها حادث اديلايد. ومع مرور الأيام وجدت جيني نفسها سجينة تلك الذكريات. واجفلت من التعابير القاسية التي سمعتها من فم تريش بحقها وحق فليك. ومع ذلك فإن كلمة واحدة بقيت راسخة في اعماقها.

انعكس الحادث بمجمله سلباً في اعماق جيني وتركها غير قادرة على اقصائه من ذهنها يقلق نهارها وليلها وبدأت توهن وتفقد شهيتها. وانتابها شعور بالحزن فاختفت الابتسامة من وجهها وغمرتها الشكوك. وبالطبع لم تنقل لفليك والعمة ايفلين كل شيء عن الحادث واغفلت عن ذكر تفاصيل الحادثة المشؤومة. وكان الصغيران غارقين في لهوهما وضحكهما وقد استحوذا بالفعل على قلوب الجميع. كانت تصرفات تريش في اغلب

الأحيان طائشة لذلك فلا بد أن تبعث برسالة اعتذار. وما من احد كان يرغب في التطرق الى موضوع ماريان فولكنر فهذا موضوع ميؤوس منه خصوصاً ان كل من عاش مع انغو يدرك ذلك الأمر.

وبالفعل بعثت تريش برسالة اعتذار وقد قرأها انغو بسخرية ورماها على الفور في سلة المهملات. كان بامكان انغو ان يتسامى على كل شعور وقد انزوى وجهه العابس وراء ستار من العزلة والوحدة لدرجة ان جيني التي حصلت هي الاخرى على قسطها من الاعتذار، بدأت تتحاشاه وقد عصرت قساوة الحادث قلبها الحنون اليانع. وفي مثل تلك الأوقات كانت جيني تتساءل عما اذا كانت هناك امرأة قادرة على الاقتراب من انغو.

كانت جيني تشعر انها بلا معين ولا تدري ماذا يجول وراء ذلك الوجه الأسمر الجميل. كان استحواذه عليها قوياً كخيوط عنكبوت عملاقة مدت شباكها منذ الطفولة. ولم يكن بمقدورها بعد الآن ان تتحرر من سيطرته، وتوقف هيمنته وهل بالامكان منع الشمس من البزوغ كل يوم؟ كان انغو يتمتع باحساس خارق لتوجيه حياة الاخرين خصوصاً حياتها التي بدت وكأنها واقعة كلياً في قبضته. وقد تم كل شيء بسهولة لدرجة انها لم تدرك ما جرى لها الا تلك الساعة.

لذلك شعرت جيني براحة كبيرة بعدما وصل ديف وملأ ايامها من جديد، كان الجميع يستمتع برفقة ديف وكان لطيفاً للغاية مع سين وسارة ويعبر عن سروره بطريقة جعلت العمة ايفلين تتبناه على الفور. بعكس سالي التي كانت قد وصلت بعد ايام ولم تتمكن من كسب شعبية مرموقة في القيام بالأعمال المنزلية ولكنها من جهة اخرى استطاعت ان تبقي نفسها منهمكة بشكل دائم في نشاطات انغو، فترافقه في نزهاته اليومية على صهوة الفرس وتصطحبه في زيارته الاسبوعية المملة لمنزل الكولونيل هاستينغ الشيخ الهرم الذي كان صديقاً حميماً لجد انغو. كانت سالي تشعر بالسعادة وتملأ الأجواء نشاطاً وضحكاً. وهي صورة مختلفة في كل شيء عن جيني التي انزوت على نفسها في صمت عميق.

وكانت سعادة ديف لا توصف وهو يعيش في ظل جيني يهتمان معاً بسين وسالي يسبحان امام اعينهم في مياه البحيرة الضحلة الصافية كعين الديك. وفي كل يوم كانوا يقومون بأعمال مختلفة ولكن الطفلين كانا يلحان على

الغطس في البحيرة للانتعاش من حرارة النهار.
امسك ديف بيدها وضغط على اناملها وسألها بنعومته المعهودة:
«بماذا تفكرين يا جيني؟».
والتفتت نحوه معتذرة عن شرودها وقالت:
«المعذرة، هل شردت بعيداً؟».
«اجل يا جيني. وفي الواقع بدوت لي مشغولة البال كثيراً منذ وصولي».
اعتذر مرة اخرى. ارجو ان نستمتع بكل برهة من اوقاتك».
ونظر ديف اليها وهو يتوق الى الاختلاء بها وقال:
«يا عزيزتي لا تظني اني اتذمر من شيء. اني استمتع بأجمل ايام حياتي في هذا المكان الرائع. الناس لا يدركون كم الحياة مختلفة. هذه الساحات الشاسعة مذهلة وتوقع الرهبة في القلوب. وبكل تأكيد ان قريبك ليس شخصاً عادياً».
«كلا انه ليس عادياً».
«وهو ملم ايضاً بالقضايا الطبية. لا بد ان الأمور كانت صعبة قبل انشاء خدمات الطبيب الطائر والمستوصف الطبي».
«كان على سكان المزارع في المنطقة سد حاجاتهم بانفسهم. والحاجة ام الاختراع، اما الآن فنحن نعتمد كثيراً على خدمات الطبيب الطائر. انه في نظرنا الخيط الفاصل بين الحياة والموت.
«اجل هذا ما افترضه. اهذا صندوق للادوية؟».
وهزت جيني رأسها وقالت:
«كل سكان المنطقة يملكون مثل هذا الصندوق. وكل دواء فيه مرقم مما يسهل مهمة الطبيب. بعض الحوادث تعالج في المنزل كالحالات السهلة المتعلقة بالاطفال وحتى المحطات النائية تستطيع الاتصال بالطبيب في خلال دقائق معدودة. انك ولا شك تستطيع ان تتخيل الآن ما كان عليه الوضع قبل سنوات. كل المآسي والآلام التي كان بالامكان التغلب عليها خصوصاً بالنسبة الى الاطفال. وقد نالت تاندارو نصيبها من تلك الفواجع وعدد القبور فيها دليل واضح على تلك الحقبة السوداء».
«انتم محظوظون في تاندارو. فعندكم طائرتان وطائرة هليكوبتر».
«وانغو يستعمل احدى الطائرات وطائرة الهليكوبتر لتوجيه وتموين فريق

العمال وكذلك لمراقبة المواشي والممتلكات».
«لا بد ان انغو دفع ثروة لشرائها».
قال ديف وهو يبدي دهشته لكل ما تقع عليه عيناه في المحطة. ووافقت جيني وقالت:
«اجل واعتقد ان طائرات الطبيب الطائر تكلف في اليوم الواحد حوالى ألف دولار. ونحن نستخدم الطائرة الثانية للقيام بالنشاطات الاجتماعية كزيارة المدن والاشتراك في السباقات والذهاب لحضور الحفلات الراقصة. الا تجد قاعة الحفلات رائعة؟».
«المكان برمته مدهش ويفوق التصور».
«هناك ممتلكات رائعة اخرى. ان هذه المقاطعة هي مملكة ملوك المواشي».
«هذا ما الاحظه بطريقة حياتهم. اعتقد ان قريبك هو العازب المفضل لدى جميع الفتيات».
«انه لكذلك».
«ولكن ليس لوقت طويل. يبدو لي ان سالي تحاول سباق منافساتها لوضع انغو في القفص الذهبي».
«يبدو الأمر لي بعيد المنال».
«سيكون الأمر صعباً. حتى يدان مخمليتان لن تتمكنا من الامساك به. انه صعب المراس. اليس كذلك؟ ومستقل للغاية. هذا تأثير نمط الحياة عليه على ما اظن. ولكنه ليس من اتباع تحرر المرأة. انت تدركين ما اعنيه فهو من ذلك النوع من الاسياد المتسلطين».
«الأمر ليس كذلك. فهذه الأرض هي ارض العمالقة. ارض الرواد الأوائل وقد ساعدت نساؤهم في جعل الأرض قابلة للحياة وان لم تكن لهن القدرة نفسها على تحمل المشقات. وانت تعرف يا ديف كيف يتصرف الرجال. لقد نشأ انغو في تراث عملاق ولم تقع عيناه على شيء اخر. حتى انه لا يعرف كيف يتصرف كانسان عادي».
«الا تعتقدين ان ذلك يجعل العيش صعباً معه؟».
«بل قد يجعل العيش صعباً بدونه».
«يبدو ان سالي تحاول جاهدة. انها فتاة ماكرة ولكنها فاتنة وانا

استلطفها. هل تعتقدين ان لها اي حظ في تحقيق احلامها؟».

«حظ في اي شيء؟».

«الظفر بجائزة المليون دولار عداً ونقداً».

«لا اظن ان الزواج من انغو يشكل عملية سليمة».

«ماذا تعنين بذلك؟ كنت اعتقد انكما صديقان حميمان. واعرف جيداً انه يخصك بعناية كبيرة ربما كانت مستبدة».

«هذا ما كنت اعنيه. انغو رجل معقد للغاية وليس مثلك».

«بامكانك ان تعانقيني لاظهار امتنانك لي».

وردت جيني محاولة تجنب الموضوع:

«قد يأتي الولدان في اي وقت».

«حسناً سنؤجل المشروع الى وقت اخر. ولكن في الواقع يخيل الي اني لم اعانقك بالمعنى الصحيح مرة واحدة. ما هي المشكلة يا جيني؟ تعرفين جيداً بأني احبك واريد الزواج منك. انه حلمي او مأساتي ولا ادري ايهما سيتحقق».

«انت تعرف آرائي حول الزواج يا ديف».

«لقد سمعتها. انت طفلة معقدة وغريبة الأطوار. السعادة ليست بين يدي كل شخص. انا اوافقك من هذه الناحية ولكن الزواج يظل امنية العديد من الناس».

«انني لا احتقر الزواج يا ديف، ولكني اخشاه كثيراً».

«هذا امر طبيعي».

«ارجوك لا تقل المزيد».

«كما تريدين يا عزيزتي. في اي حال انت لا تجهلين ذلك، اني اتفهم امك جيداً ولكن لا يمكنني تصورها في منزلة الأم. فقد بدت لي بثوبها صباح اليوم وكأنها بعمر سالي وربما اصغر. انا متأكد انها ستترك آثارها في تكساس».

وسألت جيني.

«ولماذا تقول ذلك؟».

«لأنها الحقيقة يا وردتي الصغيرة. لقد مضى علي اسبوع هنا اتيحت لي خلاله الفرصة لمراقبة دان عن كثب. انها تجره الى حيث تشاء على الرغم من

ضخامة جسمه. في اي حال انه افضل من هوغي».

«انت لست الوحيد الذي يقول ذلك».

«اراهن ان انغو سبقني فهو يدرك تماماً السيناريو الذي يراه امام عينيه. وهل من المعقول ان يغيب شيئاً عن تينك العينين الماسيتين؟ الا تعتقدين انهما كرمحين نافذين؟ هل تظنين بأني لست على الرحب في تاندارو؟».

«هذا ليس صحيحاً فانغو يستلطفك».

«انت على حق». قال ديف بنبرة سعيدة واضاف: «اجل لقد لاحظت ضيافته الحارة ولكن هذا لا يعني انه مقتنع بأني الزوج المناسب لك».

وتململت جيني في جلستها وقالت:

«لم يذكر لي شيئاً عن هذا الموضوع مع اني لا اراه كثيراً».

«لا تخافي سيحدثك في الموضوع آجلا ام عاجلاً. اني معجب بشخصيته كثيراً ولكن اعمل على الابتعاد عنه. لدي شعور انه من النوع الذي يواجه الناس بدون مواربة وهذا ما يدفعني الى القول انه قد يقطعني ارباً ارباً، وسأجد مشقة كبيرة في الحصول على موافقته للزواج بك».

وردت جيني بصوت فيه شيء من السخرية:

«لقد خيبت آمالي يا ديف. كنت اعتقد انك ستتجاهل انغو».

«اتجاهله؟ لا بد انك تمزحين. هذا النوع من الرجال لا يمكن تجاهله كما ان الهروب لا ينفع شيئاً. فهو سيلاحقني اينما كنت. ولكن لا تسيئي فهمي يا حبيبتي. اني شجاع كفوء ولكني لا اود مبارزة قريبك. فهو اكثر جبروتاً مني».

وشعرت جيني ان قلبها ينعصر من الألم. فهي تجد صعوبة كبيرة يوماً بعد يوم في الصمود في مواقعها وقد بدأت تنهار شيئاً فشيئاً. وفي الواقع لم تبتعد عن الحقيقة عندما قالت انها نادراً ما ترى انغو. فهي منذ مدة تحاول عن قصد تجنبه يساعدها في ذلك كل من ديف والطفلين في قضاء معظم اوقاتها معهم. وكانت ترى انغو في وقت العشاء ولمدة قصيرة فقط. فهو كان يغادر المزرعة باكراً في الصباح ولا يعود لتناول الغداء رغم الحاح سالي - وعضت جيني على شفتيها بمرارة واعترفت في قرارة نفسها انها كانت دائماً عاجزة عن مقارعة انغو وخصوصاً في هذه الأيام. كان يبدو وكأنه لا يكترث بها كثيراً.

وفكر ديف كيف ان جيني الحت في مرافقة الطفلين في كل نزهاتهما، لا لأنه كان يكره سين وسارة فهما طفلان مهذبان ومسليان، بل لأنهما كانا يلازمانها كظلهما وكان ديف في حاجة ملحة الى الخلوة بجيني ولو لبضع دقائق.

وقرر ديف متابعة محاولاته. فبعد قليل سيهرع سين وسارة من بين اشجار الضفة الرملية الى حيث جيني وهما يقفزان ويصرخان مطالبين بتفاحة او بشراب مثلج. كل شخص في المحطة كان يدور في مدار انغو فولكنر القوة الطاردة، وكان الأمر مثيراً للاهتمام. وكان ديف يعرف ان هناك انجذاباً غريباً بين جيني وقريبها، ان شيئاً يبدو انه يقيد كلاهما معاً، وقد رأى بأم عينيه شرارات لاهبة تتطاير بينهما. كان انغو فولكنر علامة استفهام غامضة في حياة جيني الفتية. وشعر ديف بأن هناك ثغرة عميقة تفصل بين طبيعتيهما، ولكنه لم يكن عاجزاً بالقدر الذي كان يتصوره في نهاية هذه الزيارة. لقد اكتسب لوناً جذاباً ليس بسمرة انغو ولكنه كان فاتناً الى حد كبير. ولو كان في المستشفى لاجتذب اليه بدون اي شك انظار الممرضات. حتى انه نجح في جعل اكثر من ممرضة تقع في حبه. ولكنهن لم يكن جيني وهذه هي المشكلة.

وعاد ديف الى الواقع فنظر الى جيني وقال لها بصوت ناعم:

«ارجوك انظري اليّ يا جيني. انت تعرفين جيداً بأني منجذب اليك. انت اجمل فتاة رأيتها في حياتي وتكاد انفاسي تتقطع وانا انظر اليك».

وردت جيني عل الفور:

«من الأفضل ان اضع سترتي علي».

«لا تفعلي ذلك. في اي حال سترتك شفافة. ان جسم المرأة روعة في حد ذاته. انه متناسق وقد خلق للحب. اليس كذلك؟».

وامسك ديف بذقنها ونظر في عينيها وقال:

«انت لست مغرمة فيّ اليس كذلك يا جيني؟».

وسألت جيني بجدية طفل وبنظرات عميقة عمق البحيرة:

«وما هو الحب؟».

ورد ديف بصوت اجش:

«انه تماماً ما اشعر به الآن».

«اليس هو ذلك الافتتان الجسدي؟».

«لا تحطمي ذلك الشعور يا صغيرتي. انه اندر مما تتصورين».

«صدقني اني لا احاول تحطيمه».

قالت جيني وهي تشعر بوطأة الحر وبالارتباك الذي أثاره انغو في اعماقها بمجرد القاء نظرة عليها.

وسأل ديف وهو يداعب كتفها الحريري:

«الا ترغبين في الزواج؟».

وردت جيني وهي تحاول الابتسام:

«هل فقدت عقلك؟».

«تباً لك يا عزيزتي، هذا ليس بجواب. اعرف فتيات عديدات يحلمن في ان يكنّ مكانك الآن».

«انا متأكدة من ذلك. لك طريقة خاصة في التقرب من النساء. فلا تقلق من هذه الناحية. انت طبيب شاب وجذاب وتعمل مع كل الممرضات الحسناوات في مستشفى كبير».

«صدقيني ان الفرص متوفرة هناك».

«ماذا تحاول ان تقول؟ ارجوك ألا تتمادى اكثر من ذلك».

وصرخ ديف بشيء من الاشمئزاز:

«اريدك ان تتزوجيني. لقد قرر والدي مساعدتي في فتح عيادة السنة المقبلة».

«ولماذا لا تلتحق بوحدة الطبيب الطائرة؟».

«انا لست بمثل تلك الشجاعة وافضل العمل السليم في المدن، وعلي ان اقول ان تعلقك بقريبك ضرب من الجنون حتى يخيل لي ان حبك له افقدك صوابك».

وهزت جيني رأسها وقالت:

«لا وقت لانغو لمثل هذه الأمور».

«ولكنه يملأ حياتك، اليس كذلك؟».

«بالطبع. وهل التقيت رجلاً اكثر جاذبية منه؟».

وهز ديف رأسه بالايجاب وقال:

«كلا لم التق ويؤلمني الاقرار بذلك. انا سعيد لأنه لا يعمل في المستشفى

والا لكان اجتلب اليه كل الممرضات. انا اعلم ان علاقة خاصة تربطك به وقد ربيت معه منذ طفولتك وانت بدون اب او اخ. وقد تكون الضغوط التي هيمنت على سنوات حداثتك هي السبب الرئيسي في نظر طبيب نفساني في نفورك من الحب الرومنطيقي والزواج. ولكن علي الاعتراف ان قريبك رجل في غاية الجاذبية، مدمر في تأثيره على النساء وهذا ما تشعر به سالي على الأقل».

وتململت جيني قليلاً في اضطراب ظاهر ومررت اناملها في خصلاتها التي جفت من البلل وقالت:

«دعني اقضي على جميع شكوكك وهي في المهد. فأنا وانغو لسنا مغرومين ببعضنا على الاطلاق».

«اشكر الله على هذه النعمة. كنت اعتقد ان علاقتكما اعمق واكثر اثماً. وفي الواقع ان كل شيء غريب في هذا المكان، اعني عائلته. شقيقته وامه تعيشان في اديلايد ثم زوجة ابيه الاخرى، لقد نسيت اسمها».

«باربارة. لقد تزوجها الخال مارك في نزوة جارفة ثم تركها. كانت امرأة فاتنة للغاية ولكنها غير لطيفة وكل ما اذكر عنها انها كانت تعطف كثيراً على انغو».

«بحق السماء لماذا لم تخبريني بهذه الأمور من قبل؟».

«لأنك لم تسألني. ولكن انغو تضايق منها في النهاية وتركها تذهب في سبيلها. فهو كما تعرف لا يضيع وقته مع النساء».

«ايا كان الشيء الذي يضايقه، فإن طريقة تصرفه مع النساء فتاكة، وعلي ان اجربها في يوم ما».

وابتسمت جيني وقالت:

«حياتك مختلفة عن حياته. أيامك يا ديف كانت هانئة وهادئة. والداك يحبانك حتى العبادة».

«اعرف انهما يقدران مواهبي اكثر مما استحق».

«لقد واجه انغو صدامات لا نهاية لها بين والديه وهو في اعماقه اكثر حذراً مني. انه سيبلغ الرابعة والثلاثين في عيد ميلاده المقبل وعلى لائحته عدد لا يحصى من الفتيات امثال سالي. انه لن يتزوج واحدة منهن».

ولنأمل انه سيحقق هذا الحلم هذه المرة. اني اجدها ظريفة ومسلية

للغاية، ملحة في نزواتها ولكن مع ذلك اجدها مسلية ولا اعتقد ان انغو سيرتبط بعلاقات جانبية اخرى».

«لا يوجد الكثير من الفتيات اللواتي تتحدث عنهن في هذه المنطقة».

«هذا صحيح. وانغو يسعى وراء الجمال والذكاء معاً وسالي لا تجمع هاتين الميزتين».

وردت جيني وهي واثقة من كلماتها:

«سالي تعرف تماماً ما تريد وكيف تحصل عليه. وانغو بخلاف معظم الرجال لا يتجاوب مع الوسائل التقليدية. ولا زلت اردد ان على سالي ان ترد له الصاع صاعين. لقد مضى على علاقتهما سنوات عديدة وهي الآن بعمر تريش واكثر عزماً على الحصول على انغو من اي وقت مضى».

«تصوري يا جيني كم ستكون السعادة كبيرة لو انك تزوجت».

«هناك اناس عديدون يودون لو انهم لم يتزوجوا».

«امك عروس دائمة!».

«انا لا الومك، فليك مختلفة عن باقي النساء فهي سهلة المعشر. وحتى عندما تتزوج فهي لا تنغمس في الزواج كلياً. اتمنى لو كانت مختلفة ولكني احبها كما هي على جميع علاتها. واذا اختارت دان فاني اشعر بأن قلبي سيتحطم».

«ولماذا بحق السماء؟».

وهزت جيني برأسها غير قادرة على الاجابة. ومال ديف نحوها مدفوعاً بتيار من العاطفة وطبع قبلة على وجنتها. كانت جيني جذابة الى ابعد حد وكان مجرد معانقتها يجعل دمه يغلي في عروقه.

وفجأة سمعا صوتاً من ورائهما يقول:

«متأسفان جداً لمقاطعتكما».

وتطلعا الى بعضهما ثم التفتا الى الوراء، ديف بعينين ساخطتين وجيني خالية من اي شعور. كانت سالي تتجه نحوهما وهي تنزلق على الحصى المبعثرة وانغو يتبعها على بعد خطوات بدون ان يظهر على وجهه اي تعبير عن مشاعره.

وقالت سالي وهي تقترب منها:

«آسفة حقاً. كنا نتنزه على صهوة جوادينا في هذا الاتجاه وفكرنا في ان نمر

عليكما يا له من مكان جميل. ليتني احضرت ثوب السباحة معي».

«وانا ايضاً».

قال ديف وهو يحاول ان يكون ودوداً معها.

ولم يقل انغو شيئاً فاغتنمت جيني الفرصة ووضعت سترتها عليها بطريقة عفوية وهي تدرك ان السترة لم تكن عملية وان كانت انيقة بالوانها المتعددة.

وقفت جيني ونظرت اليه ثم توجهت الى حافة الماء ونادت الطفلين اللذين لوحا بايديهما لها واخذا يرشانها بالماء ولكنهما لم يبادرا للخروج من البحيرة. وترددت جيني لحظة واحدة ثم غطست هي بدورها واقتربت منهما فامسكت بيد كل واحد منهما وسحبتهما الى الشاطىء وهي تقول:

«ان خالكما انغو يعتقد انكما تعرضتما للشمس ما فيه الكفاية. ستجفف ونعود الى المنزل لتناول طعام الغداء. وبعد ان تأخذ سارة القيلولة سنذهب معاً الى الكهوف».

وهتف سين قائلاً:

«انه برنامج رائع».

ثم اخذ يولول كالهنود الحمر واندفع نحو خاله سارداً عليه بدون توقف احداث الصباح والعمليات التي قاما بها لجمع الحصى الملونة الجميلة.

ولم تكترث سالي لحديث سين المتقطع من شدة اهتياجه وبدأت حديثاً خاصاً مع ديف وهي تسير واياه على ضفاف المياه حيث تنتشر الزنابق الجميلة ذات الاريج المعطر وتتمايل بدلال مع نسيم الصباح. ومالت سالي فاقتطفت احداها ورفعتها اليه وقد ازداد اهتمامه بها. وفي هذا الوقت التقطت جيني منشفة وبدأت تجفف سارة التي كانت تنظر الى خالها انغو بعينين مغناجتين وهو يقابلها بحركات هزلية مضحكة.

وقالت جيني بحنان:

«ها قد انتهيت يا عزيزتي. من الأفضل ان تضعي قبعتك الآن فامك لن تكون سعيدة اذا لطخ النمش وجهك الجميل».

«وانا لا ابالي. واعتقد ان النمش جميل. فصديقتي الحميمة مليسا مكسوة بالنمش لدرجة اني لا استطيع رؤية جلدها الحقيقي».

«مليسا فتاة ذات شعر احمر اليس كذلك؟».

«اجل».

«من الأهمية بمكان ان يحمي ذوو الشعر الأحمر رؤوسهم من حماوة الشمس. سين اين انت؟».

نادت جيني بدون ان تلتفت الى انغو. وللحال اطاع سين وهرع اليها فالتقطت قميصه وادخلته في رأسه ثم مررت يدها على خصلات شعره ولمستها وكانت قد تعقصت وتحلقت في شكل دوائر. وعندما انتهت قالت:

«الآن ضع قبعتك على رأسك كولد مطيع. واجمع حوائجك مع اختك وبامكانكما استعمال قبعتي المصنوعة من القش لحمل الحصى التي جمعتماها».

«شكراً يا جيني».

«أأنت باقية؟». قال انغو بصوت جعلها تعبس وهو يقترب منها.

«هل هذا سؤال ام امر؟». ردت جيني كأن سوطاً لسعها.

«لماذا تبالغين دائماً؟».

«اني اعرفك جيداً يا انغو. انك تحاول اخافة ديف المسكين».

«بامكان سالي الاعتناء به لبعض الوقت».

«اهي خسارتك؟».

«لا بل مكسبي».

«يا الهي كم انت انسان صلب».

«بكل تأكيد. هل تظنين باني طلبت من سالي المجيء الى هنا؟ اجيبي بسرعة».

«سأجيب، فهما سيعودان في اية لحظة».

كان انغو يقف في طريقها وكان عليها ان ترفع نظرها اليه فاقتربت منه عوضاً من الرجوع الى الوراء وقد برقت عيناه في وسط وجهه الداكن وكأنهما يوجهان اليها تهمة ما. وقال بضراوة ناعمة:

«يبدو لي وكأنك ستنفجرين في البكاء وانت على هذه الحال منذ اسبوعين».

«هل هذا صحيح؟».

ردت جيني وهي تندفع نحوه بغضب ظاهر كما لو انها تود مقاتلته.

«هوني عليك يا جانينا. لقد كان اليوم شاقاً».

«غريب، كنت اعتقد انك تستمتع بوقتك. فسالي فتاة جذابة ولا تبخل عن تقديم المساعدة».

«شأنها شأن آلاف النساء. ولكن مع الأسف انا لا اريدهن حولي في جولاتي. لقد كان هذا المكان فيما مضى جميلاً وهادئاً ولكنه تحول لاسباب اعرفها الى مكان لا يطاق. انا ذاهب الى ليك فروم لارى كيف حال جوك وسأغادر على الفور. هل ستأتين معي؟».

«ولماذا تريدني ان ارافقك؟».

«في الواقع اريد التحدث اليك. يبدو لي اننا لم نتحدث مع بعضنا منذ سنوات».

«ستضايق سالي وتثور».

«هذا لن يغير رأيي».

«وماذا بشأن ديف؟».

«بامكانه ان يظل ملازماً لسالي كظلها مع انه من المؤسف ابعادك عنه. سنطلب من سالي الاعتناء بالطفلين لساعة او ساعتين، فهذا تغيير لا بأس به».

«لقد وعدت باصطحابهما الى الكهوف».

«سالي تعرف الطريق جيداً».

«لا اعتقد انها سترغب في ذلك».

«اظن انك لم تسمعي ما قلت. انا متعود على التصرف بطريقتي الخاصة».

«اعرف انك تتصرف بطريقة غريبة».

«هل انت آتية؟».

«اجل»

«ولماذا تهمسين بالجواب؟».

«هذا ما اشعر به الآن».

«انت مرهقة جداً في هذه الأيام. لا ادري ما اذا كان علي ان اشبعك ضرباً ام عناقاً».

وكأن عصا سحرية لمست انغو فاستعاد هدوءه ومد يده ووضعها على

كتف جيني وهو يداعب عنقها برؤوس اصابعه وقال لها:

«أتدرين بأني احسد صديقك؟».

«لقد كان منهمكاً في حسدك».

«ما من احد يريد القيام بعملي. انه عمل شاق يتطلب ملاحقة الأعمال لأربع وعشرين ساعة متواصلة بالاضافة الى اتخاذ قرارات صعبة وحاسمة. اني اشعر بأني منهوك القوى. كل ما ابغيه الآن هو رؤية جوك. فيونغ كريس سيدخل المستشفى ويمكث فيه مدة اسابيع».

«هل ستقول لهما اين نحن ذاهبان؟».

«ولم لا؟ اعتقد انه يحق لي ان اكون برفقتك من حين الى آخر».

«كنت اعتقد انك في الآونة الأخيرة لم تكن ترغب بهذه الرفقة».

«اني ارغب بها ولكني لا اعلنها على الملأ كصديقك».

«اني احتل مكانة هامة في حياته. وهو يريد الزواج مني».

«هذه التفاتة لطيفة منه. لكن مع الأسف الشديد الجواب المحتوم هو لا بصورة قاطعة».

«هل انت متأكد؟».

«من الأفضل ان تكوني متأكدة».

وردت جيني متأففة:

«انك توجعني».

«ليس بشكل كاف. اود ان اراك تصرخين باكية».

وترنحت قليلاً تحت ضغط يده وهي ترتجف كورقة هزها الريح. كانت مشاعرها واحساساتها على وشك الانفجار وكان انغو يعرف ذلك فاستمر في تعذيبها وهو يقول ساخراً:

«الا تحتجين؟ اني اعني ما قلته».

«اعرف ذلك فأنت قادر على اي عمل بدائي».

«وستفعلين ما اطلبه منك».

وضحكت جيني ضحكة حزينة وقالت وهي تغمض عينيها:

«الا تدري بأني لا اجهل ذلك».

«جيني؟».

سأل انغو بفظاظة وقد رأى الدموع معلقة في مقلتيها. وعلى الفور

ابعدت جيني رأسها وقد اخافها صوته الأجش وشد باصابعه الباردة على معصمها وقال:

«لقد اخترت الوقت غير المناسب. ها هما قادمان نحونا. الأفضل لك ان تمثلي دور البطلة وتبكي فيما بعد».

ورفعت جيني رأسها لترى سالي وديف يتجهان نحوهما، سالي حاملة الزنبقة وديف يضحك لنكتة كانت على الارجح تسردها عليه. كانت ضحكة عفوية وصادرة من اعماقه. ونظرت سالي اليهما وارسلت لهما قبلة في الهواء وهي تقول:

«اني معجبة جداً بصديقك يا جيني. متى ستكون الفرحة الكبرى؟».

«الحقيقة يا سالي انهما مجرد صديقين حميمين» رد انغو بشيء من اللامبالاة.

«هذا ما تقوله انت. لا ادري كيف ترضى جيني ان تكون حارسها».

«ليس لها خيار كبير».

وردت سالي بجدية:

«بدأت اصدق ما تقوله. اتعرف بانك مستبد معها؟ ماذا كنت تلقبينه يا جيني؟».

«انغو الأسود ولا زلت حتى الآن».

«مع بعض التحريض. انتما قريبان معقدان».

«ومع ذلك نحن مشغوفان الواحد بالاخر. ساصطحب جيني معي الى «ليك فروم» ظهر اليوم. الا تظنان ان باستطاعتكما العناية بالطفلين لساعة او ساعتين؟».

ورد ديف بعجلة وهو يتلهف لارضائه:

«بكل تأكيد».

«بامكانك ان تأتي معنا يا ديف. ولكن المشكلة اننا لن نمكث طويلاً والوقت ليس وقت زيارات فهناك شخص مريض. وقد قالت لي جيني انكما كنتما ستصطحبان الطفلين للكهوف وسالي تعرف الطريق جيداً».

واعلنت سالي:

«ان سالي مع الاسف ليست سعيدة تماماً. المعذرة يا ديف ارجو الا اكون جرحت شعورك».

«كلا على الاطلاق، هيا لنذهب معاً».

«احقا ما تقول؟ حسناً يا انغو فولكنر بما انك تحصل دائماً على ما تبتغيه فسنمتثل انا وديف لأوامرك اليوم».

وعلق انغو على الفور قائلاً:

«وقد تستمتعان بوقتكما».

«وفي الواقع انا مهتم جداً بالموضوع».

قال ديف وقد اذعن للفكرة. بالطبع لا يمكن لسالي حتى في اجمل فساتينها ان تحل محل جيني، ولكنه بدأ يستظرف شعرها المسترخي بلون الرمال وبشرتها الدسمة. وفي اي حال لن يشعر بالوحدة معها ومع ذلك فقد كان يشعر بحب عارم تجاه جيني اكثر من اي وقت مضى عندما كانت غائبة عنه.

وعندما التقيا ثانية على مائدة العشاء كانت المناسبة فريدة لسببين اثنين: فجيني استعادت حيويتها بشكل رائع كسابق عهدها وسالي التي كان يشهد لها ببراعتها في فن الطبخ الحت على اعداد العشاء بدون الاكتراث لانزعاج ماغي الشديد. فبالنسبة الى فتاة ساحرة وكثيرة الاسفار كانت سالي موهوبة في طبيعتها للاعمال المنزلية وكانت قادرة تماماً على ادارة تلك الأعمال في مزرعة كبيرة كتاندارو.

ولم يبد على احد انه يرغب في مغادرة طاولة الطعام وتنوعت الاحاديث فكانت طوراً جدية وتارة خفيفة عابثة، حتى العمة ايفلين كانت تبتسم في غالب الأحيان مما اثار دهشة ديف.

ابتسمت فليسيتي لدان ثم لوحت بيدها كأنها تطلب من الجميع السكوت وقطعت حديث العمة ايفلين وهي تسرد بعض الأمثلة عن الأعمال البطولية الانكليزية وغيرها من المزايا الاسترلينية المثيرة للاعجاب وقد علت وجهها حمرة وردة جذابة.

«أنا ودان لدينا خبر هام لنعلنه لكم» قالت فليسيتي بصوتها الرخيم الناعم وهي تتطلع حول الطاولة، «لقد اتفقنا على الزواج».

وتمتم ديف بطريقة دبلوماسية ببعض عبارات التهنئة التي كادت لا تسمع في اللحظة التي ارتطمت فيها يد جيني بالكأس الجميلة ذات العنق الطويل، وهي التي لا تهدر شيئاً من ممتلكات فولكنر، فوقعت على الصينية

الفضية وتحطمت شر تحطيم وانسكب العصير منها على الطاولة. فانتصب انغو على قدميه وهتف بجيني على الفور:

«اتركيه في مكانه».

ولم يبد على جيني انها سمعته فحاولت بصورة تلقائية جمع اجزاء الكأس ولكنها جرحت اصبعها وبدأ الدم يسيل منها فسحبت يدها وهي ترتجف كطائر مجروح.

«لقد قلت لك بأن تتركيه مكانه». قال انغو وهو يتجه نحوها. واضاف: «ستأتي ميللي وتنظف كل شيء. ارجوك سالي رني الجرس انه متصل بالمطبخ. فليك الم يكن باستطاعتك الانتظار قليلاً لما بعد العشاء؟».

وكان انغو، وهو يتحدث، قد ربط منديلاً حول اصبع جيني وساعدها على النهوض من كرسيها بدون ان تبدي اية مقاومة. ووجه كلامه الى الجميع قائلاً:

«اعذرونا لبرهة فلن نطيل الغياب وعندما نعود بامكانك ان تتابعي الاعلان يا فليك. يبدو ان جيني قد اصيبت بجرح طفيف».

وقاطعته سالي فجأة وقالت بعد ان رنت الجرس:

«اتساءل من هو الطبيب في هذا المنزل؟».

ورد انغو بلطف على الرغم من ان الجواب لم يكن ضرورياً:

«الأمر سهل وأي شخص يعرف كيف يستعمل الاسعافات الأولية. اتساءل يا فليك لماذا لم تهيئينا قبل اعلان النبأ؟».

وردت فليك وقد بدا القلق والارتباك في عينيها الزرقاوين:

«كنت اريد مفاجأتكم».

«اني آمل ان تكونوا سررتم للنبأ».

قال دان كطفل لا يريد افساد سعادته.

«بكل تأكيد لقد سررنا جداً. نحن نقف الى جانبك يا دان. ان تساهم كثيراً في حياة فليك. فهي الآن فتاة كبيرة. ارجو ان تتقبلا احر تهاني واصدق تمنياتي منذ البداية. ما رأيك يا ايف في ان نحتفل بهذه المناسبة وعلى افضل وجه».

واعلنت سالي بمرح ظاهر بدون الاكتراث لنبأ زواج فليسيتي:

«وانا موافقة. هل بامكاني تحضير الأشياء الضرورية لهذه المناسبة فأنا اعرف مكانها. وانت يا ديف بامكانك ان تأتي معي في حال العثور على بعض العناكب في الزوايا. انت لم تزر بعد كهف العائلة، اليس كذلك؟».

وتمتم ديف قائلاً وهو غير مرتاح لحال جيني وعاجز كلياً عن فصلها عن قريبها:

«كلا لم ازره بعد».

«اذا انت ضيفي الآن». قالت سالي وهي تجره بيده واضافت:

«ان الكهف مليء بالمأكولات والمرطبات الشهية».

«ماذا قالت؟». سألت العمة ايفلين ببرودة.

ولم يرد عليها احد فانغو كان يقود جيني الى خارج الغرفة وهو يقول:

«استمري في الحديث يا عمتي ايف كفتاة لطيفة ما رأيك في بدء الحديث منذ عهد الغزو الروماني ولغاية عام ١٠٦٦؟ حسناً سنعود بعد قليل». ثم نظر الى جيني وقال مداعباً: «الا تريدين الاغماء على كتفي؟».

«كلا لن يغمى علي».

«امل الا يغمى عليك. انه جرح طفيف».

وسألت جيني:

«هل انا اعول وأئن؟».

«لا اطلاقاً، ولكن لونك شحب وابيض».

«بامكان الصدمات ان تكون بغيضة».

«بكل تأكيد ولكن النبأ لم يكن صدمة بل التوقيت. فليك كانت ولا تزال تتصرف بشكل ابله».

«لا استطيع حتى التحدث بهذا الموضوع».

«هذا ظاهر». ووقف انغو امام غرفة الاسعافات الأولية وانارها.

فولجت جيني الباب واسندت ظهرها الى الطاولة وهي تقول:

«اعرف جيداً انك لا تكترث لذلك الأمر».

«انت على حق. لو كان الأمر بيدي لارسلت فليك على متن صاروخ الى المريخ في رحلة بدون اياب».

«ليس هناك من شك انها ارهقتك ايضاً. اعذرني اذا شعرت بالأسى فأنا احب امي، انها الأم الوحيدة التي وهبني الله اياها ولا اريدها ان

تذهب الى الطرف الآخر من الدنيا، فدع المريخ جانباً».
وقال انغو وهو يتجاهل علامات الأسى العميق التي ارتسمت على وجهها:
«اقتربي من الحوض وابتسمي يا صغيرتي فقد اسمح لك بزيارتها في بعض المناسبات».
ومدت جيني يدها نحوه وهي ترتعد:
«لن تعود الأمور الى سابق عهدها».
«آمل باخلاص الا يحدث ذلك. الماضي لم يكن سعيداً دوماً. هذا حسن ابقي يدك بعيدة عن فستانك فانا لا اريد ان يتسخ وكذلك ديف. لقد كان يلتهمك بنظراته طوال الساعة الماضية وهذا ما يدفعني الى اتخاذ موقفي الصريح».
وسألت جيني وهي تلتوي من الالم وقد وضع انغو ضمادة حول اصبعها:
«وما هو ذلك الموقف؟».
«انه قريبك المتوحش الذي لن يسمح لك بعد الآن بالتحدث الى اي رجل آخر».
«انا متأسفة لان ديف ليس اقوى منك».
«وهل تريدينه ان يسدد لكمة الي، هذا لن يحدث مع الأسف».
«اعرف ذلك. ومن المستبعد ان يقدم ديف على عمل مثل ذلك واجهل رد فعل سالي، رباه ماذا سأصنع؟ لا اظن ان بامكاني العودة الى غرفة الطعام».
«اجل بامكانك». قال انغو وهو ينظر اليها نظرة متحدية واضاف: «قد تشعرين ببعض الألم كما قلت ولكني متأكد ان بامكانك تحمل الصفعة تماماً كما افعل انا. اليس بامكانك يا جيانينا؟».
واخذ انغو وجهها بيده واداره نحوه. وخفضت جيني جفنيها وقالت بشيء من الذهول:
«كلا لا استطيع، اشعر بأني سأترك لدموعي العنان وأفسد الاحتفال».
«سأكون الى جانبك».
«هذا قول يفرحني». قالت جيني وهي تسند رأسها على كتفه وقد طوق

خصرها بذراعيه واضافت: «لا استطيع تحمل كل ذلك».
«اذن اذهبي معها».
وتأوهت جيني وقالت:
«لقد سئمت العيش مع ازواج امي».
«قد تتحسن احوالك لو عشت مع زوج لك».
«قد يتطلب الأمر بضع سنوات اخرى».
«هل تريدين المراهنة».
ولم تكترث جيني لكلماته الساخرة ومرغت وجهها على صدره وهي تقول:
«لا تتركني يا انغو انك تخيفني في احيان كثيرة لدرجة يرثى لها ولكن احياناً اخرى اشعر انه لا يوجد مكان اكثر اماناً في هذا العالم من ذراعيك».
«حسناً» قال انغو بسخرية ناعمة وانفاسه تحرك اطراف خصلات شعرها وقد شد بذراعيه على خصرها واضاف: «لم يكن الأمر سهلاً عليك الاعتراف بهذا الأمر».
وهزت جيني رأسها وقالت:
«الصدمات قد تسلب الانسان مقاومته».
«هل هذا صحيح؟ خصوصاً بالنسبة الى فتاة مثلك. في اي حال لا يمكننا البقاء هنا يا جيانينا، فعليك تنتظر عودتنا لاطلاعنا على بقية مشاريعها. انها بدون شك ستقيم زفافاً مدنياً في الحديقة عند غروب الشمس، واي شيء اكثر شاعرية من ذلك؟».
«ارجوك ان تكف».
«اديري وجهك الي. اريد ان اتأكد انك استعدت الوانك».
ورفعت رأسها وهي تشعر بوهن وقالت:
«سوف توقعنا في شر مصيبة. رباه انر عقلها واجعلها تفعل الشيء الصحيح».
«ما دمنا نتحدث عن المصائب، ديف يكافح مستميتاً من اجلك. كنت اتوقع من طبيب ان يمارس سيطرة اكبر على نفسه».
«هل هذا صحيح؟».

نظرت جيني اليه بتأمل عميق وكأنها لم تسمع ما قاله.

«الم احذرك من غيرتي الجامحة؟».

«لا اقبل ان نطبقها علي».

ودمدم انغو بعنف ويأس وقال:

«بالنسبة الى فتاة ذكية فانت لم ترثي شيئاً من تعاليم حواء وفي الواقع اشك كثيراً في انك تدركين ما هي المرأة. فكل مواهبك طبيعية كأن جنية ساحرة اسبغتها عليك. لم تجهدي نفسك بشيء. انت تجهلين الأمور تماماً كما لو كنت في العاشرة من عمرك. حتى انك لا تعترفين بابسط قواعد المداعبة بعكس سارة التي هي امرأة بكامل انوثتها».

«ولماذا تثير هذه الأمور اعصابك؟».

«ومن قال لك انني فقدت اعصابي. ستدركين ذلك عندما سأثور بالفعل وننفجر كلانا في لهيب محرق. هلمي نذهب الآن، لا ادري لماذا خضنا هذا الموضوع».

وبذلت جيني جهدها لئلا تفسد السهرة ولكنها لم تتمكن من السيطرة على نفسها كلياً رغم اجواء الفرح والسعادة. وكان يبدو من غير المعقول ان رجلاً اخر قد استولى على قلب فليك والأسوأ من ذلك هو ان فليك كانت على استعداد تام للتخلي عنها. وفي الواقع كانت جيني تشعر انها كأم سمعت لتوها ان ابنتها المفضلة ستتركها لتبدأ حياتها في اصقاع افريقيا.

ومع ان انغو لم يهيأ للنبأ مسبقاً غير ان فكرته اقامة حفلة في الحديقة قد توافقت كلياً مع اعز امنية لفليسيتي وفي اقرب وقت ممكن. وقد اكد لها دان ان لا عليها بعد الآن ارباك رأسها الجميل بمثل هذه التفاصيل حتى بالقضايا المتعلقة بالمنزل واثاثه وفساتينها التي لا تحصى.

وبدت فليسيتي وكأنها على احر من الجمر لاعادة تنظيم حياتها في الريو غراندي ولم تكن المرة الأولى التي تشعر فيها جيني بأن امها خذلتها بمرارة ولكنها كانت دائماً ترضخ لفكرة ان امها كانت حرة في التصرف بحياتها كما تشاء. وفجأة احست بانها غير قادرة على المكوث اكثر في ذلك الجو فنهضت عن الطاولة بدون الاعتذار لأحد وهي تشعر بحماقة رقة عاطفتها غير الضرورية امام سعادة فليسيتي المشرقة. ودخلت غرفتها واغلقت الباب بهدوء لئلا تسترعي الانتباه ولكن ما من احد جاء ليزعجها، وتركت وشأنها

تقاسي آلامها وهي على يقين من انها ستتمكن من التغلب على الأسوأ في الصباح الى ان يحين يوم الزفاف.

وعلى الرغم من محاولتها تخفيف وطأة المصيبة، امتلأت عيناها بالدموع فالقت بنفسها على السرير وهي تجهش بالبكاء وتقول في اعماقها ان الأمهات يهجرن بناتهن في كل يوم وان فليسيتي لا بد ان تنسى حتى وجودها بعد مضي ستة اشهر من الزمن.

٧- نارها تحت الرماد

عندما فتحت جيني عينيها كان كل شيء يدور حولها. كانت لا تزال
منهوكة القوى منذ ليلة أمس عندما غفت وسط عاصفة من الاحاسيس.
كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل. ولم تصدق جيني عينيها
فأعادت ساعتها الى مكانها على مهل ومرت بيدها على تقوس كتفها حيث
كان رباط ثوبها الشفاف يحف بجلدها الناعم ويؤلمها، كان عليها ان تخلع
ثوبها في المساء ولكنها لم تكن تتوقع ان تغفو بتلك السرعة. ففي كل ليلة
وطوال الاسابيع الماضية كان عقلها يدور ويدور كبلبل هائم، يستعرض
احداث اليوم والاشياء التي كان ينبشها من الماضي السحيق. ولكنها الآن
تشعر بصداع وتتلوى من الألم، لمحت وجهها على المرآة التي عكست
نظراتها الثائرة. وفكرت في نفسها انها فشلت على ما يبدو في مواجهة

المصاعب كما كان يفترض ان تواجهها حسب تقاليد عائلة فولكنر والآن فان كل شيء يتصارع في اعماقها مخلفاً في نفسها اضطرابات متفاوتة. كل شيء ما عدا انغو الذي كان لا يتأثر بالانفعالات العادية. وكل ما في الامر انه كان يشعر بالغضب. وفي الواقع كان دان هو الضحية الكبرى فقد حرمته من بهجة اللحظة الكبيرة ولربما سيحمل هذه الذكرى الاليمة طوال ايام حياته.

وحدقت جيني قليلاً في المدفأة وقد توسطها اناء جميل من النحاس امتلأ بالاغراس والنباتات الصيفية التي تنمو في الداخل. هذا الاسبوع كان اسبوع الزنابق الفاتنة وقد تفتحت جميع ازهارها الرائعة. كان عليها ان تتناول شيئاً لازالة صداعها ولم يكن بمقدورها التغلب عليه دون مساعدة. وكانت تعلم ان النعاس لن يلف جفنيها بعد الآن في تلك الليلة وشعرت بالكآبة تعود اليها. فالمرء لا يشعر بحجم حبه الكبير لشخص عزيز عليه الا عندما يدرك انه سيفقده الى الابد. كان من حق فليك ان تفعل كل ما تصبو اليه ولم يكن لجيني سوى امنية واحدة هي ان تراها سعيدة كل ايام حياتها. ولكن الالم كان لا يزال يحز في اعماقها.

مصابيح الحائط تنشر على الرواق الفسيح نوراً خافتاً يضيء بكلل صور افراد عائلة فولكنر المعلقة بأطرها المطلية بالذهب. ووجدت جيني طريقها بسهولة وهي تسير خلسة من دون حذاء مكتفية بجواربها لا يصدر عنها اي صوت او همس. ولم يكن في وسعها ان تتحمّل رؤية اي شخص. فانحدرت على السلالم بسرعة وتوقفت فجأة امام باب المكتبة في ارتباك. كان شخص في الداخل. وعلى الفور شعرت بدقات قلبها تتسارع في صدرها فاندفعت الى ما تحت السلالم وانكمشت على نفسها في الظلال. لم تكن ترغب في رؤية اي شخص. اجل اي شخص. وخبأت وجهها بين راحتيها وعندما رفعته كانت ذراع قد اطبقت عليها.

«اعتقدت اني رأيت شبحاً».

قال انغو بصوت خافت يكاد لا يسمع.

«هل اخفتك؟».

«كلا وهذا امر لا يغتفر، فالاشباح ايضاً لا تخيفني وكل ما في الامر اني اشعر بصدمة عابرة. تعالي الى هنا ايتها الطفلة المضحكة لقد تجاوزت

الساعة منتصف الليل وانت ما زلت ترتدين فستانك. فما هي المشكلة؟».

واعترفت جيني وقالت:

«اني اشكو من صداع اليم».

«انا لا استغرب هذا. لقد كان وقع النبأ شديداً عليك. ولكن بالله عليك لا توقظي الاخرين فانا لا اتحمل ذلك. ادخلي المكتب وسأحضر لك بعض الحبوب لازالة الصداع».

«ليباركك الله يا انغو».

كان باب المكتب مفتوحاً ونور المصباح يضيء اغلفة الكتب الجلدية المرتبة على الرفوف الخشبية العالية التي كانت تصل الى سقف الغرفة.

ودخل انغو الغرفة ونظر الى وجهها الصغير الراكد. كانت تكسوه مسحة من الصوفية الشاحبة دفعته الى الابتسام في وقت لم يكن يشعر بأي رغبة في ذلك وانحنى نحوها وقال:

«ها هي الاقراص يا جيني».

وفتحت جيني عينيها الواسعتين واخذت الاقراص من يد انغو وتركت كوب الماء في يده الاخرى وهي تقول:

«لقد قلت باني قادرة على تلقي الصدمة باعصاب قوية».

«كنت مخطئة».

«لا حاجة لاعادة الموضوع. ارى بانك غيرت ملابسك فالى اين ذهبت؟».

«يا طفلتي العزيزة. عندما كنت تذرفين الدمع كشلالات الماء وتنامين كولد مرهق كنت اطفىء حريقاً».

«واين شبت؟».

«في احد مصابيح السروج وقد نسيه احد العمال وغداً سأتحقق من الامر وينال المذنب جزاءه».

«لكني لم اسمع شيئاً، ولا حتى ضجة. انا متأسفة».

«ولماذا؟ وماذا كان بوسعك ان تفعلي؟ ان تكافحي النار الى جانبي؟».

«هل الحقت ضرراً ما؟».

«كان بامكانها ان تحدث اضراراً لولا يقظة سبوك».

«الا ينام هذا الرجل؟».

«انه لا يحتاج الى النوم ومع ذلك يقوم بعمله كاملاً خلال النهار وهذا هو الأهم. ذكريني ان اعطيه كمية من التبغ الخاص بغليونه، تناولي هذه الاقراص عوضاً عن التحديق بي بعينيك الواسعتين».

واخذت جيني كوب الماء وهي تنظر الى الاقراص الكبيرة وقد استرخت تقاطيع وجهها بانتظار زوال الصداع وقالت:

«اني ساقضي الليل هنا على هذه الاريكة. هل عندك مانع؟».

«اني اتساءل».

وسألت جيني:

«اعتقد ان دان كان مضطرباً».

«اجل. وبالنسبة الى رجل في عنفوان شبابه كان دان مضطرباً كطفل صغير. انه امر مؤثر حقاً».

«وماذا عن فليك؟».

«ارى فليك ان لك الحق في نزف بعض الدموع، انه شيء روتيني».

«انت شيطان ساخر. هل تذكر عندما ابلغتنا انها ستتزوج من هوغي؟».

«اجل اذكر ذلك واذكر ايضاً كيف رميت الكرسي جانباً».

«اذن هل تعتقد باني اقيم الدنيا واقعدها من اجل لا شيء؟».

«اعتقد ان هذا هو الواقع. لقد مرت عليك تجارب كثيرة وآن لك ان تتعلمي».

«لقد افسدت على العمة ايفي قصة المزايا الانكليزية. لقد افسدت كل شيء».

كانت عيناه المشعتان تنسابان على وجهها وثنايا جسمها الفاتن وقال بعد صمت قصير:

«حتى ايفي يا نعجتي هي الى جانبك. لقد كانت دائماً الى جانبك فضلاً عن انها ليست رومنطيقية على الاطلاق».

«ومن قال لك ذلك؟».

«قد اجرح شعورك لو اني اطلعتك على مصدر معلوماتي».

«كانت هناك رزمات من الرسائل في احد الصناديق في غرفتها. فهل كانت رسائل حب؟».

«انت لا تعرف كل شيء».
«في الواقع كانت تلك الرسالة واحدة من الرسائل اليومية التي كان يرسلها جدي اليها في رحلاته الى انكلترا.
«كلا».
«لا بل انا متأكد من ذلك».
«مسكينة ايفي. السنا جميعاً ضحية سيطرة ما؟ انظر الى الخال مارك».
«وماذا تقصدين ايتها الاسيرة الصغيرة؟».
«شيء جارح على الارجح. انت تشبه اباك الى حد كبير، انسان عديم الشفقة. اجل هذه هي الحقيقة، محدود التفكير».
«وانت تريدين تغيير طبيعتي؟».
«على الاقل في امر واحد. اشعر انك غضبت مني؟».
«وكيف عرفت؟».
«بامكاني ان اقرأ انفعالاتك في عينيك. انهما ترسلان بعض الشرارات. قل لي كيف انتهت السهرة؟».
«بشكل لائق». رد انغو وهو يحدق فيها. واضاف: انصرفنا حوالى الساعة العاشرة والنصف وبالطبع كان ديف متضايقاً لانك لم تكوني بقربه. من المؤسف انه لم يمكث الى يوم الزفاف. لقد دعته فليك ولكن قوانين المستشفى كما تعرفين. عليه ان يعود الى عمله».
«لا اريد التحدث في هذا الموضوع».
«اذن ستكون معركة حامية. فالعمة ايفي لا تريد التحدث في الموضوع وسأكون احمق اذا كلفت نفسي عناء اقامة حفلة في الحديقة».
«قلت كفى».
«ومن انت حتى تصدري الي الاوامر؟».
قال انغو وهو يجلس على الاريكة ويمسك بها بخشونة. وهزّت جيني رأسها بيأس واضطراب، وتابع انغو سؤاله وقال:
«وبالمناسبة كيف صداعك الآن؟».
«انه احسن ولكن ارجوك لا ترفع صوتك بهذا الشكل».
«ولكني سارفعه ولا تحاولي ان تبدأي شجاراً».
«الوقت متأخر لمثل هذا الشجار».

«اقتربي مني يا جيني».
«حتى تقول لي ماذا سافعل». قالت جيني بصوت مستسلم واضافت:
«لا تقلق سادبر امري. انت ستدفع بالطبع. وفي الواقع يا انغو ان تريش محقة فيما قالته عني».
«قلت تعالي اليّ». رد انغو بشدة ورفعها اليه وضمها الى صدره واضاف: «يبدو اني سأفقد صبري».
«وما تشعر به الآن؟».
- «اشعر بالعنف».
ورفعت جيني يدها ومررتها على وجه انغو ورسمت باناملها خطوط شفتيه وفمه وكانت احاسيسها العميقة تنعكس في عينيها المشعتين فقالت بعد جهد:
«ان الحياة ستكون مستحيلة دونك. سواء كنت عنيفاً أو لا».
«وغير محتملة معي؟ هذا هو انطباعي».
«انت رجل قاس جداً».
«هذا صحيح. بامكاني معالجة امور الجميع الاّ امورك انت».
«ولماذا؟ هل انا على هذا القدر من الاهمية؟».
«انت تستحوذين على مشاعري وقد يكون ذلك من رواسب ايام طفولتك. كان عليك الا تدخلي هذه الغرفة. لقد تلاشت الدنيا من حولي الآن».
«وماذا تريد مني؟».
«ساعديني وامنحيني اكثر من السابق، ولكن اين الخوف في عينيك اني لا اراه الآن».
وقالت بنعومة:
«لقد اختفى».
كان رأسها يرقد على ذراعه وكتفها مشدودة بين ساعديه فقالت جيني متوسلة:
«حبني يا انغو ارجوك حبني».
وكانت تشعر بتشنج اعصابه وبنظراته المنزلقة على وجهها وسمعته يقول:

«لا اعتقد انك تدركين مدى عمق مشاعري ولكني لا استطيع الذهاب الى ابعد من ذلك اذا لم استحوذ على جميع احساساتك».

«لم اكن اعرف انك تكن لي هذه المشاعر».

«لا تكوني حمقاء، انت قلت باني قادر على كل شيء».

«وانا اريدك ايضاً يا انغو ولا ابالي باي شيء آخر».

«ولكن انا ابالي».

«انغو ارجوك دعني اقضي الليل هنا».

وجذبت جيني رأس انغو اليها ونظرت في عينيه المتوقدتين كأنّ لا مفر منها، وشد انغو ساعديه على خصرها وكأنه يريد سحقها وضمها الى صدره وهو يعانقها بكل جوارحه ورغباته، لقد تفجرت في نفسيهما رغبات الانسان القديمة وأحست جيني انها غير قادرة على نكران ما وصلت اليه الآن وانها مهما حاولت فلن تتمكن من الافلات من مصيرها الذي اصبح مقيداً بمصير انغو الرجل الذي تحب.

كان رأسها يتماوج مع ومضات النور التي كانت تنبض من اعماقها، انوار مبهرة واحساسات لا تعد ولا تحصى كانت تشدهما الى بعضهما. كل شيء يبدو كالحلم ولكن احساساتها الطاغية كانت حقيقة ملموسة. وكانت يد انغو تداعبها وجوارح جيني تصرخ بان تتوقف عقارب الساعة عند هذه اللحظات وان تظل مشدودة الى صدر انغو. دقات قلبها تتسارع في صدرها وكيانها من قمة رأسها حتى اخمص قدميها يئن ويتفجر كهدير شلال جارف.

كانت الكلمات تتشاحن في رأسها وسمعت صوتا يترامى اليها من بعيد ويعيدها شيئاً فشيئاً الى الواقع الى الحاضر المربك المقيد في دوامة الزمن. كان انغو لا يزال يشدها اليه واحدى يديه تمسك برأسها وكانت العمة ايفلين تقف في الغرفة بوجهها الجميل تحاول اسماع صوتها الناعم.

«لقد قرعت الباب ولكن يبدو ان أحداً ما سمعني، ما الذي يجري هنا يا انغو؟ لقد رأيت النور».

«وماذا ترين يا عمتي؟».

«في ايامي كنا نسمي هذه الاشياء عملية اغراء».

«عليّ ان اعترف ان الامور كانت تسير في هذا الاتجاه. لقد وصلت في

الوقت المناسب».

«اهذه انت يا جيني؟».

ولم تتحرك جيني وهي لا تزال تحت تأثير سحر اللحظات السابقة المفعمة بالعنف الطاغي ورد انغو قائلاً:

«لا تقلقي يا عمتي. انها على ما يرام حتى وان كنت قد نسفت كل احلامنا ومشاريعنا».

«يا طفلتي العزيزة الا تريدين ان تأتي معي الآن؟».

«اني احاول ان اقول لك يا ايف انها بالف خير».

وردت العمة ايفلين بتمهل:

«الا تعتقد ان لها الحق في ابداء رأيها؟».

«انها ترتجف كورقة في مهب الريح ولا اعتقد انها قادرة على الكلام. جيني هي ملكي يا ايف وانت تعرفين ذلك».

«اذن انا اصر على ان تتزوجها».

وكانت جيني تشعر بقهقهة تكاد تنفجر من اعماق انغو وهو يقول:

«قد احبها حتى العبادة ولكن اتصرين على الزواج يا ايف؟».

واحست جيني وكأن نصل سكين يغرز في قلبها، فوضعت يدها على رأسها المضطرب مما لفت انتباه انغو اليها وهي تصلح فستانها وتعيد الشريطين الى كتفيها وردت بصوت حانق:

«لن اتزوج منك يا انغو حتى ولو كنت آخر رجل على سطح هذه الارض».

«هذا هو جوابك؟ لم اكن ادري ان هناك ترتيباً آخر. انت تعرفين جيداً باني اهوى ان اضع علامتي المميزة على كل شيء يا جيني وحاولت جيني الافلات من بين ذراعيه ولكن قبضته كانت مطبقة عليها كطوق من الحديد واردف قائلا: «انت فاتنة يا جيني وليس بامكان اي امرأة في العالم ان تأخذ مكانك».

وجاء صوت العمة ايفلين بعيداً وناعماً وهو يقول:

«يا عزيزتي جيني، دعيني أعيدك الى غرفتك وانا مستغربة كيف انك لا تقاومين».

«الم تسمعي يا عمتي ايف. ان جيني على احسن ما يرام وهي لا تزال

عذراء».

«كفى سخرية» ردت جيني وهي تحاول صفع انغو.

«هذه هي فتاتي». قال انغو وهو يمسك بيدها ويضعها على شفتيه. واضاف:

«كنت اعرف انك لم تنسي كيف تردين الصاع صاعين».

وسألت العمة ايف بقلق:

«لماذا نزلت من غرفتك يا عزيزتي. لقد اعتقدنا بانك آويت الى فراشك، ولم يدعني انغو ان اذهب واطمئن عنك».

«كنت اشكو من صداع اليم».

قالت جيني وهي تبدو واهنة وهشة ولكن جذابة بشكل مثير بعينيها السوداوين الواسعتين مما دفع انغو الى اخذها مرة ثانية بين ذراعيه وهدهدها كطفلة صغيرة. كان وجهه يطفح بالحياة تكسوه غلالة من الهدوء والسكينة.

«حسناً يا ايفي، يبدو لي انك تلحين في القيام بدور القهرمانة المنقذة. ساضع جيني في سريرها الصغير وبامكانها ان توصد الباب على نفسها».

«وهذا بالضبط ما يجب عمله. قالت العمة ايفي بصرامة. واضافت: «حقاً ان الفساتين التي ترتديها الفتيات في ايامنا هذه غير محتشمة وهي تحث على اثارة الاحاسيس، هل اطفىء الانوار هنا؟».

«اجل».

واستدارت العمة ايفي وسارت امامها بقامتها المستقيمة ومشيتها العسكرية وهي ترفع طرف فستانها الشرقي ليسهل عليها صعود السلالم. وعندما وصلوا الى الغرفة وضع انغو جيني في سريرها وانحنى عليها وقال بصوت ساخر:

«نامي جيداً يا صغيرتي. انك تحبينني بكل جوارحك. انا اعرف هذا».

«لا تذكرني بهذا الموضوع».

«لن ادعك تنسينه ولو لم تكن العمة ايفي هنا لجعلتك تئنين من الصراخ».

«وسوف تستمر في هذا المخطط؟».

«يبدو انك نسيت اني لن اتخلى عنك. لقد افسدت العمة ايف كل

شيء. ولكن لا بأس يا ملاكي سأكمل في احد الايام ما بدأته الليلة ولكن دون وجود احد لانقاذك. فاحذري مني في المستقبل».

«شرط ان لا تتزوجني، اليس كذلك؟».

«اذا كان علينا ان نفكر بالأولاد فالزواج امر محتم».

«اغرب عن وجهي».

«اعتقد ان بامكاني ان اترككما الآن». قالت العمة ايفي وقد بدت ابتسامة لطيفة القلق الذي كسا وجهها. واضافت: «اني اشعر باني شخص غير مرغوب فيه. يا لها من ليلة شاقة».

«ما هو الشيء المخيف المتعلق بمصير اسوأ من الموت، يا عمتي ايف؟ لم تخلق جيني لتكون مجرد متفرج. انها جذوة مشتعلة. في اي حال كانت مشاعرنا متبادلة ولا تخرج عن كونها قضية شخصية. لقد حدث أن مررت في الوقت المناسب. اني بالكاد لمستها يا ايف».

«في هذه الحالة يا عزيزي انغو اقل ما يمكن ان تفعله هو ان تعرض عليها الزواج. اني لا اجهل شعورك نحو جيني وكنت اعرفه منذ زمن طويل».

وجلست جيني على فراشها وقد انتشر الضوء الخافت حولها مما عمق لون عينيها وفستانها الازرق وجعل لون بشرتها وشعرها اكثر شفافية وقالت:

«لا يمكنني ان اقبل بهذا الامر. فانا الفتاة المغفلة الوحيدة في هذا المكان، كنت دائماً اعتقد ان انغو يتصرف بطريقة شيطانية نحوي».

وابتسمت العمة ايفي وقالت:

«احقاً ما تقولين. وهل تعتقدين ان الشياطين يتسامحون مع الفتيات الصغيرات الى ما لا نهاية. اعتقد ان انغو كان متسامحاً الى ابعد حد حيال نزواتك الجارحة طوال السنوات الماضية».

«شكراً يا عمتي ايف». قال انغو ببساطة واضاف: «الله يعلم، انت الشخص الوحيد الذي يدافع عني».

«لاني احبك كما تحبك جيني ولهذا السبب أدافع عنك. لا تتأخرا في البقاء معاً في الغرفة. اعتقد اني سانام مرتاحة البال الآن. لا تنسي انك ستساعديني كثيراً يا جيني في اعداد حفلة الزواج وفليسيتي كما تعرفين ملحاحة ولا تمد يدها للمساعدة وهي غير قادرة على دخول قاعة الزفاف بدون مساعدتنا».

«عمت مساء يا عمتي ايفي».

«تصبحين على خير يا عزيزتي، لقد ازحت كثيراً من همومي» وعندما وصلت الى الباب التفتت نحو انغو وقالت: «اتعلم يا انغو انك في الحقيقة بحاجة ماسة الى حب فتاة كجيني».

وسأل انغو:

«ولكن هل تحبني؟».

«من المكان الذي كنت اقف فيه، بدا لي انها تحبك وانا استغرب سؤالك هذا».

وخيم سكون على الغرفة لبرهة من الزمن بعد ذهاب العمة ايفي ثم ارتسمت على شفتي انغو ابتسامة ساخرة وقال:

«عند هذا الحد عليّ اما ان ارحل او ابقى الى جانبك».

واشاحت جيني بنظراتها عن وجه انغو الاسمر الجميل وقالت:

«كنت اظن انك ستتبع ارشادات العمة ايفي».

ورد انغو وهو يلف جيني بنظراته اللاهبة ويضمها الى صدره من جديد:

«لا اجد سبباً واحداً للتمسك بتلك الارشادات».

«ولكنك حتى الآن لم تفصح عن افكارك الحقيقية».

«اني اقول بانني اتلظى بحبك». وانحنى انغو اكثر نحوها وعانقها عناقاً عابراً: «تصبحين على خير نامي جيداً. اني اشعر بأن عينيّ لن تعرفا النوم هذه الليلة».

«اني احبك». قالت جيني قبل ان يخرج انغو من الباب «انا اعني ما اقول. انا احبك».

وابتسم انغو وقال:

«اتعتقدين باني لا اعرف ذلك».

«اريد ان اسمعك تقول بانك ايضاً تحبني».

«تصبحين يا صغيرتي. لقد حان الوقت لتنامي». واتجه نحو الباب وعندما التفت اليها كان من الصعب معرفة ما يجول في خاطره وقال: «هوني الامر عليك غداً عندما سترين فليك. فهي لا تتحمل المزيد من الجدية واعتقد انها ستعيش مع دان مع ان الامر لن يكون سهلاً. انه ليس الانسان الذي تظن، وفي الواقع عندما ستزول النشوة ستجد فليك نفسها انها امام

رجل بكل ما في الكلمة من معنى».

«اتدري يا انغو انك وغد، ولا تعتقد باني لا اعرف الفرق بين الحب والرغبة».

«لا يمكنك الحصول عن احدهما بدون الآخر».

«ولا يمكن الحصول علي بدون زواج».

«ولمَ لا؟».

«افضل ان اموت اولاً. فهل هذا يؤثر عليك».

واختفت الابتسامة عن وجهه وقال:

«ايتها الحمقاء الصغيرة. يبدو اني جرحت شعورك في الاعماق. عندما تكونين بهذه الجدية وانت غارقة في هذا السرير العريض، فلا بد ان تكون الاجوبة بمثل تلك الغباوة. بالطبع سأتزوج وساخبرك بذلك عندما سأكون مستعداً له».

وردت جيني على الفور:

«ارسل لي برقية لاني ساغادر تاندارو حالما تتزوج فليك».

«فكرة رائعة، والاّ سيصعب عليّ ابعاد يدي عنك».

«لو اني اكبر سناً..».

«كان بامكاني التفاهم معك. اما الآن فاننا نسبح في ظلام دامس».

كان صوته في غاية التهكم كسوط لاذع دفع بجيني الى مغادرة السرير وكأن قوة خفية استملكت حواسها وهتفت قائلة:

«لا تذهب يا انغو».

والتفت انغو نحوها وقد برقت عيناه الفضيتان في وجهه الداكن الذي يشع قوة وسيطرة وقال:

«الا ترين الآن لماذا لا اتركك تأخذين قراراتك بنفسك؟».

«لا ادري ماذا يحدث لي».

«انه امر في غاية البساطة ولكن ليس في يدي حيلة الآن. اذهبي الى الفراش يا ملاكي فانت مرهقة للغاية».

«لم اكن اريد ان ابلغ هذا الحد معك».

واردف انغو قائلا بصوت ناعم وكأنه كان يخشى ان تنفجر في بكاء حاد:

«من الافضل ان تعودي الى فراشك».

«طابت ليلتك يا انغو».

«انه امر قاس ولكن ضروري. طابت ليلتك يا صغيرتي».

كانت حفلة الزواج قصيرة وانتهت وسط هرج جميع الاقارب والاصدقاء الذين انتشروا في ارجاء البيت والحديقة الغناء. وقد فرض على المدعوين اللباس الرسمي كما طلب من جميع النساء تزيين شعورهن بالازهار فبدت الحديقة وكأنها بساط من الربيع المتجدد تناثرت في ارجائه تحلقات النساء الانيقات بفساتينهن الناعمة الصيفية المتعددة الالوان. وكان ايان حاضراً مع المدعوين. فبعد عام كامل من العمل الشاق المضني لم يرد ايان ان تفوته هذه الفرصة لمشاهدة مهرجان الجمال وسماع القهقهات الرنانة والاحاديث المنمقة التي كانت تختلط بنسيمات الهواء العليل والاجواء الخاصة والفريدة بتاندارو. كانت البهجة تلف ايان وتشحذ مشاعره واحاسيسه.

اما فليك فكانت تتنقل كالفراشة بين المدعوين شبيهة بحلم رائع بفستانها الازرق الرقيق بلون السماء المثقل بالازهار في الوقت الذي كانت آلة للتصوير تسجل للأبد هذه المشاهد الخلابة التي كان يخيل لايان انها لن تتوقف. وكان زوج فليسيتي الجديد دان هاول الذي استطاع ان يبقى واقفاً على قدمه بعد الحفلة، يشارك في القهقهات الصادرة من اعماق قلبه وهو يتقبل التهاني. وفكر ايان ان دان رجل جذاب طويل القامة يتجاوز الستة اقدام ولهذا السبب استطاع تحمل مشقات الحفلة. كان يبدو اسعد الناس على الاطلاق وفكر ايان ان فليسيتي لربما ستجد في النهاية السعادة والاستقرار وتمنى لها ذلك من صميم قلبه لانه في الواقع كان يجدها لطيفة وفاتنة للغاية وكأنها تتحدى السنين وقد تدلى من عنقها عقد من اصفى حبات اللؤلؤ واجملها استقرت في وسط صدرها كانت تداعبها باناملها باستمرار مع مشبك الماس الظاهر للعيان والذي لم تكن تحاول اخفاءه تحت اطراف قبعتها الزرقاء. وقد تذمرت تريش من اهداء انغو العقد لقريبته. اما اقراط الماس والخاتم الكبير فكانت هدية الزوج عربوناً لحبه العميق.

وكان الطفلان سين وسارة يرتديان اجمل ملابسهما ويركضان في الحديقة وهما في غاية الاثارة لذلك لحقت بهما تريش لتراقبهما. وكانت وصلت مع زوجها ايان في اليوم السابق على متن طائرة وكانت تريش تدرك انه قلما

سيطرت على غيرتها تجاه جيني حتى ولو خصتها ببعض الكلمات اللاذعة في الخفاء والمجالس الخاصة، كانت سعادة ايان اكبر. فهو يعتبر جيني فتاة ساحرة للغاية كما يعرف بان جمالها لم يكن من النوع الذي يستميل صداقة النساء الاخريات. وكان بحكم عمله يدرك مدى تأثير الغيرة المضنية والهدامة في احيان كثيرة. ورأى تريش تفتش عن الطفلين فتبعها بنظرات كانت مزيجاً من التأييد واللوم، كانت تبدو جذابة بثوبها وشعرها الاسود الطويل وقد زينته بباقة من الازهار الذهبية المتدلية على كتفيها. وتبدو في غاية الاسترخاء قلما رآها في هذه الحال خلال الاسابيع الماضية.

اما جيني فقد ارتدت فستاناً من الحرير الابيض وعلقت وردة متفتحة كالبدر الكامل في شعرها وكانت تحاول بكل شجاعة اخفاء توتر اعصابها وتشنجها.

كان جمالها صاعقاً يخفي تحت قناعه قلباً محطماً. وكانت هي ايضاً تتحلى ببعض حلى عائلة فولكنر. هذا ما همسته تريش في اذن ايان: العقد والاقراط الماسية والزمرد الكولومبي وهي جزء من مجموعة مؤلفة من اربع قطع كانت تخص والدة جدتها، واذا كانت لديه اية شكوك في صحة قولها فبامكانه ان يلقي نظرة على اللوحة المعلقة في الردهة. الحلى كانت تبرز جمال جيني وتنعكس متلألئة على بشرتها الذهبية وبالطبع نسيت تريش في ثورة غضبها ان انغو كان قد اهداها هي ايضاً بعض القطع الجميلة من حلى عائلة فولكنر عندما تزوجت وهي وان لم تتزين بها الاّ نادراً غير انها لا تزال تملكها ولا يحق لها ان تتذمر على الاطلاق.

وفي هذه الاثناء كانت فليسيتي قد ارتدت فستان السفر وعادت من جديد الى القاعة الكبيرة وتوقفت عينا فليسيتي الزرقاوان على وجه ابنتها ورمت بباقة الزهر اليها وهي تسدّد التصويب لئلا تخطئها. ولكن جيني لم تكن سريعة الخاطر في تلك اللحظة فأخطأتها وكانت من نصيب انغو الذي كان يقف وراءها. فاخذها ووضعها بين يا ها المرتجفتين وهو يدرك تمام الادراك مدى توتر اعصابها واحساساتها.

وضحك جميع المدعوين وصفقوا باستثناء جيني التي كانت تبدو في غاية الجمال والفتنة وهي تنظر الى الجميع بعينيها السوداوين الواسعتين بدون ان ترى احداً منهم. وقد بدا للجميع ان انغو كان يحاول مداعبتها ليخفف

عنها التوتر الذي استحوذ على مشاعرها مع انه لم يكن مهتماً بما يفكر به الآخرون بشأن اية علاقة مشبوهة بينه وبين قرينته.

كانت مشاعره المتقدة تنعكس في عينيه المشعتين وقد لاحظ ايان الذي كان يراقبها جيداً دهشة مذهلة ترتسم على وجه سالي. مسكينة سالي لم تكن يوماً من الايام في صميم افكار انغو وحتى الآن كانت غير قادرة على رفع نظرها عنه.

كان انغو قد قرر حتى قبل حفلة الزفاف الاّ يسمح للمشاهد العاطفية المتشنجة بان تأخذ مجراها ساعة الوداع. وكان من حسن حظ جيني وهي في حالتها النفسية المتضعضعة انه بامكانها الاعتماد على انغو للخروج من هذه اللحظات الصعبة. فقد بدأت فليسيتي تجهش في البكاء وتلاشى من وجهها وميضها المتلألىء. وكان دان يحاول جاهداً اعادة الهدوء الى نفسها داعياً الجميع الى زيارتها في اي وقت يشاؤ ون فهم سيكونون على الرحب والسعة.

وانتهت المجاملات الوداعية وعاد كل مدعو الى حلقته فيما رافق انغو وجيني العروسين الى مهبط الطائرة، وقد عمد انغو الى اختصار لحظات الوداع تجنباً لاي نزوة عاطفية من قبل الأم او ابنتها. وادرك باحساس غريب، ان جيني كانت على وشك الانهيار.

وعندما وصلوا الى المدرج الصغير كان الطيار في انتظارهم وهو يقف على احر من الجمر امام طائرته الخاصة ذات المقاعد الستة. وعلى الفور ساعد انغو الطيار على نقل الحقائب في الوقت الذي ضمت فليسيتي ابنتها الى صدرها وراحت تقبلها بحرارة وشوق فيما كان دان يراقبها ولا يجرؤ على التفوه بكلمة واحدة مخافة ان يضرم عاطفتها فتنفجران في البكاء. ولو ترك الامر له لكان اصطحب جيني معه ولكن انغو رفض اقتراحاته. وصافح انغو دان بحرارة واكد له ترتيبات الصفقة بينهما ثم ابعد جيني بحزم عن امها ورفع رأس فليسيتي نحوه بحركة ناعمة وطبع على وجهها قبلة وداعية.

«اعتني بنفسك يا فليك ولا تقلقي على جيني فانها معي».

«اعرف يا عزيزي». ردت فليسيتي وهي تحدق بعيني انغو وتابعت قائلة: «ولكن ماذا تعني بذلك؟».

«لقد حان الوقت للرحيل» قاطعها دان وهو يحتضن زوجته وينحني نحو

جيني ليعانقها مودعاً واردف قائلا: «سيكون لنا متسع من الوقت، لا تقلقي يا صغيرتي فسأعتني بامك».

وحاولت جيني ان ترد له الابتسامة وسط هدير المحركين الذي صم الآذان. ولكن انغو انتحى بها جانباً في الوقت الذي كان فليسيتي تتأبط ذراع دان ويتجهان معاً نحو الطائرة ثم يدخلانها ويغلقان الباب وراءهما. وبعد دقيقة ظهرا وراء النافذة وهما يلوحان بايديهما، وما لبثت ان تحركت الطائرة على المدرج وتزايد هدير المحركين وسط عاصفة من الغبار والرمل.

وقالت جيني في شيء من الذهول:

«انا الآن يتيمة حقاً. لا اظن انني ساقوى على البقاء حتى اقلاع الطائرة. يخيل لي انني ما زلت ارى فليسيتي وهي تحدثني بالامس عن حب جديد وها هي الآن قد تزوجت وانتهى الامر وتطير لتعيش حياة جديدة. انه امر يتجاوز العقل لقد فقدتها يا انغو».

«كفى يا جيني».

«لقد انتهى الامر».

وجذب انغو رأس جيني إليه وقال:

«جيانينا يا طفلتي المسكينة سترين فليسيتي مرة ثانية متى تشائين ولن تستغرق الرحلة سوى بضع ساعات بالطائرة. هذا ما اقوله الآن».

«هل تعتقد حقاً انها ستكون سعيدة؟ فانا ساتحمل فكرة فراقها اذا تأكدت من ذلك».

«يا عزيزتي الا تظنين ان دان اوثقها بحبل؟ وهذا ما كانت تصبو اليه فليسيتي، الم تري كم كانت رائعة من دون اي اسف على الماضي سوى تخلّيها عنك». وتردد انغو قليلاً ثم تابع: «كان بامكانك ان ترافقيها وقد حاول دان اقناعي بالفكرة ولكني رفضتها ولا اظن اني كنت لطيفاً معه. في اي حال فإن فليسيتي في نشوة السعادة وكذلك دان».

«اعتقد ان على المرء ان يقوم بهذه التجارب، انها تجربتها الرابعة».

«لا تحلمي بانك ستتزوجين اكثر من مرة واحدة. وبالمناسبة عندي مفاجأة لك».

«الم تعطني ما فيه الكفاية. انت تعرف باني لا استطيع الاحتفاظ بتلك المجوهرات الرائعة».

«ولم لا؟ انها لم تكن في اي يوم اكثر روعة مما كانت عليه وانت تتزينين بها. في اي حال لقد عادت الى مكانها. ارني يدك».

وسحب انغو من جيبه خاتم الزمرد المتلألىء الذي كان يشكل إحدى قطع المجموعة التي كانت تتزين بها جيني وقد انعكس وهجه الاخضر على راحة يده الدكناء وانتشر بريقه كلهيب ازرق من النار.

«لقد حان الوقت لكي تتوقف عن هذا المزاح».

«انني في غاية الجدية مع اني اعترف باننا خصمان من زمن طويل. في اي حال اتدرين كم هو يساوي؟ انه مقدس. وبامكانك الحصول على العقد فيما بعد. هذا كل شيء. اما توقيعي فكنت اود ان اضعه هنا وللأبد. ولكن يبدو لي انك لا تشجعينني على الاطلاق».

قال انغو وهو يضع الخاتم في اصبع جيني. واغمضت جيني جفنيها الناعستين وقالت بغنج ودلال:

«ما زلت اجهل سبب كل هذا. اعني ما هي المناسبة لهذه المكافأة؟».

«انك لم تستحقي هذه المكافأة. كل ما في الامر انك حبي الدائم».

«هذا امر لا يستحق الاهتمام». ردت جيني وهي ترفع رأسها وتنظر اليه واضافت: «ليس لدي اي شيء اقدمه بالمقابل».

«وهل تريدين تقديم شيء؟».

«اجل كل ما تطلبه اقدمه من صميم قلبي والى الابد».

«هذا يريحني قليلاً». قال انغو وقد تراقص في عينيه بريق متلألىء واضاف: «الم تكتشفي بعد اني لا استطيع العيش وانت بعيدة عن ناظري؟».

«قد ينطبق هذا عليّ اكثر منك».

«امامك الحياة بكاملها لتبرهني لي صحة قولك. صدقيني يا جيني اني بحاجة ملحة اليك وأقسم انك لن تهربي مني. ليس الآن. انها البداية فقط».

«الى الابد».

«هل تريدين تركي؟ انا لا اقول باني ساتركك تفلتين من بين يدي، ولكني ساطرح عليك السؤال».

«كلا ابداً لن اتركك ولماذا تظن أني كنت اتعارك معك طوال كل هذه

السنين؟».

«كنت صغيرة لكي تقومي بعمل آخر. وكان عليّ ان اجعلك تكتشفين مشاعرك الحقيقية لأني كنت متأكداً من مشاعري الشخصية».

«ولماذا لم تطلع فليك على الأمر؟».

«سأكشف لها الأمر في مكان ما من جنوب الباسفيك».

«قل لي بانك تحبني، اريد ان اسمع هذه الكلمة تخرج من بين شفتيك».

«انه واضح كالشمس ولا لزوم لترداده» قال انغو بشيء من المداعبة ولكنه اردف قائلاً:

«اني احبك يا جيني لقد أحببتك منذ زمن طويل وسأحبك الى الأبد. هذه هي طبيعتي».

«اذن هل بامكاني ان اطلب شيئاً منك؟» سألت جيني بصوت اجش وهي تحدّق في وجهه الأسمر. «في وقت ما، ليس الآن، في وقت ما في المستقبل هل تعدني بان تتصالح مع امك؟ اعتقد بانها كابدت ما فيه الكفاية من الالام، ارجوك يا انغو، وانا اعدك باني سأحبك كسيل جارف يتطاير رذاذه في كل الاتجاهات، ارجوك عدني بذلك».

«انت تطلبين الكثير يا جيانينا».

«لقد احببت امك في الماضي اليس كذلك؟».

«وإن أحببتها؟».

«ليس بامكانك اذن ان تتركها في حالها بين الجنة والنار».

«وهل تظنين بانها في هذا الوضع؟».

«انني امرأة وانا احبك ايضاً، وانا اعرف تماماً ما هو شعور امك».

«اذن اخبريني كيف هو ذلك الشعور».

«ارجوك يا حبيبي، ارجوك».

وجذبها انغو الى صدره وعانقها بكل جوارحه وقوته حتى كاد يسحقها بين ذراعيه وقد شع وجهه بوميض من الجاذبية الساحرة وقال:

«قد تكون اول عملية عودة الى الحظيرة».

«وسأساعدك على ذلك يا انغو».

ردت جيني وقد تقطعت انفاسها وتدفق الدم الى وجنتيها. والتصقت

جدائل شعرها الفضي على صدغيها ووجهها.

«ولكن لن يطول الأمر. فانا اريدك لنفسي دون مشاركة احد. لا اعتقد باني ساشبع منك ولا انوي اضاعة المزيد من الوقت. فانا اريدك الى جانبي ليل نهار والى الابد واريدك ان تلازميني كظلي اينما ذهبت».

«لماذا لا نبدأ الآن. ولكن لا تنسَ ان الزوجة مسؤولية كبيرة».

«واعتقد ان باستطاعتي تحمل المسؤولية».

«اذن دعنا لا نضيّع الوقت، فانا لا اطيق صبراً».

وانحنى انغو نحو جيني وقد برقت عيناه بوميض حب عميق وضمها الى صدره بكل جوارحه وعانقها بكل ما اوتي من شوق وهي مستسلمة بين يديه وقد غاب كل شيء حولها وترامت الى اذنيها همسات انغو الرقيقة:

«اني اشعر وكأني في عالم آخر».

«وانا اشعر وكأني في الجنة».

«انها العاطفة المكبوتة منذ سنوات. اني احبك يا جيانينا».